ابداعات عربية

قصص

محمد عبد حسن

الطوفان

وقصص أخرى

أزمنة

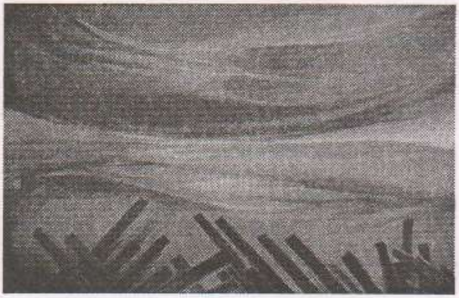

الطوفان

رقم التصنيف : ٨١٣,٩٠
رقم الإجازة المتسلسل : ٢٠٠١/٤/٧٠٦
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٠١/٤/٨٠٧)

ISBN 9957-09-065-8 (ردمك)

□ الطوفان : محمد عبد حسن
□ الطبعة الأولى : 2002
□ جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق وعقد ©

أزمنة ®

أزمنة للنشر والتوزيع
تلفاكس : ٥٥٢٢٥٤٤
ص.ب : ٩٥٠٢٥٢
عمّان ١١١٩٥ الأردن
E-Mail:ELIAS@FARKOUH.NET
شارع وادي صقرة، عمارة الدوحة، ط ٤

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, stored in all retrieval system or trasmitted in any form or by any mean without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة ، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

□ لوحة الغلاف : سعد الطاهر (العراق)
□ تصميم الغلاف : أزمنة (الياس فركوح) .
□ فرز وسحب الأفلام : الشراع.
□ التنضيد والترتيب الداخلي : أزمنة (نسرين العجو ، إحسان الناطور).
□ الطباعة : جمعية عمّال المطابع التعاونية.
□ تاريخ الصدور : نيسان 2002.

ابداعات عربية

قصص

الطوفان

وقصص أخرى

الفهرس

القصر ٩
موت ازرق ١٧
موت ابيض ١٨
البئر ١٩
صعود ٢٩
امنية ٣٠
نوافذ ٣١
الحرب ٣٤
خيانة ٣٥
الأشهب ٣٧
رأس ٤٠
مِفتاح ٤١
الطوفان ٤٣
الطابق الخامس ٤٩
مملكة بعيدة ٥١
شروق آخر ٥٦
الرجل الظل ٥٧

(. . . . .) ٦٢
فندق ٦٣
عندما حدثني أبي ٧١
الرجل العاشر ٧٣

الإهداء

إلى : أخي ..

الذي أيقظني .. وغاب ..

إلى: عبد الحكيم عبد حسن

القصر

تبتعد سيارة الأجرة مخلفة غباراً يتصاعد ببطء متلاشياً بين أوراق الصفصاف . صوت المحرك ينسحب تدريجياً أمام السقسقة المنبعثة من الأشجار المتطاولة . (خُذ المفاتيح . أريدك أن تراه . نظّم له كشفاً شاملاً . الأشياء التالفة بدّلها : الأبواب ، الكهربائيات ، غيّر دون الرجوع إليّ . تذكّر المحافظة على طابع القصر . تدري أنه ، بحالته هذه ، ليس سوى خربة ، ولكن عندما أرممه سيصبح له شأن آخر . هذا ما أظنه) .

المسافة بين المكان الذي تركت فيه السيارة وبوابة القصر الرئيسة تتجاوز الخمسين متراً مرصوفة ببلاطات خرسانية يخفي التراب أجزاءها المهشمة ، ومن المفاصل بين بلاطة وأخرى تقسم الحشائش النابتة الممر بخطوط خضر الى مربعات تبدو متساوية ، ولكني ، وأنا أخطو فوقها باتجاه البوابة الكبيرة ، أرى الاختلاف الواضح بين أبعادها . على جانبي الممر في الساقية اليابسة حشائش أخرى يبلغ ارتفاعها نصف المتر متيبسة تماماً تتخللها ، بارتفاع أعلى ، هياكل أشجار متخشبة .

من الخارج يبدو القصر كقلعة . تتوزع واجهته الأمامية أعمدة رخام تحمل شرفات محاطة بأسيجة خشب منخورة . سلسلة حديد تربط مصراعي الباب يتدلى منها قفل كبير صدئ . أمسكت شريط القياس تحت إبطي لأستخرج كومة المفاتيح .

ظهر ، وأنا أجرّب المفاتيح ، من الكوخ القريب من البوابة . (سيضايقك . ماذا أفعل . يرفض مغادرة القصر . سنين وهو يعيش هناك دون أن يدفع له أحد فلساً واحداً . رافقني في كل خطوة . فتح الأبواب واحداً واحداً وكأنه يطلعني على شيء يمتلكه . المفاتيح بيد ويقودني من غرفة لأخرى باليد الثانية . المفاتيح التي تسلمتها بعد دفع المبلغ لم تفتح باباً . لم آخذ منه المفاتيح إلا بصعوبة ، حتى أنني توسلت إليه) .

ـ لا تتعب نفسك . المفتاح معي .

وقف أمامي إلى جانب البوابة الآخر رجل جاوز الستين . يبدو ، وهو يمسك قضبان البوابة الحديدية بكلتي يديه ، كسجين أُخرج توّاً من نفق تحت الأرض ليمثل أمام محكمة : وجه مليء بأخاديد سود بفعل الوسخ المتراكم ، عيون غائرة يفتحها بصعوبة ، شعر نابت على الوجه في فوضى ، فم أشبه بكهف مهجور تحرسه خفافيش سود تقف متأهبة على فكيه ، وله أنف كمنقار ببغاء . .(وقت المزايدة كان موجوداً بجانب المنصة بحالته التي ستراه عليها شابكاً ذراعيه على صدره . قلت : إن المزايدة ليست على القصر وحده . دنوت من المنصة . قال له رجل كان يدوّن بعض المعلومات : إشترى القصر ، هل رأيته؟ هات المفاتيح . كان ينظر إليّ ثم حوّل بصره إليه ، أخرج مفاتيح مربوطة بخيط قذر ، ضربها بقوة على المنصة واستدار ذاهباً) .

نخطو ، وهو يقودني الى الباب الرئيس للقصر ، فوق بلاطات خرسانية ملونة تبدو في حال لا بأس بها ، مع ذلك فهي بحاجة الى قلع وإعادة رصف ،

سأرصفه ببلاطات مطعّمة بالمرمر ، وعلى الجانبين سأضع أسيجة حديد مزخرفة بأشكال سداسية وسأترك فتحات يمكن من خلالها الدخول الى الحديقة الواسعة أمام القصر ، وَ . . . .

ـ الله . . الله .

كدت أسقط . إرتطمت قدمي بشيء صلب . إحتضنني بيديه :

ـ إنتبه .

فتح يديه بهدوء وحذر وكأنه يخشى سقوطي بمجرد أن تتركني يداه . ينظر إليّ لحظات ، جسده منحن وذراعاه متأهبتان لاستقبالي . عاد وأمسك برسغي الأيمن :

ـ إنتبه لقدميك .

ثلاث درجات تفصل الممر الخارجي عن الساحة المسقفة أمام الباب الخشبي الرئيس «الصاج» ، فوقها إطار نصف دائري من «الصاج» تقسمه قطع خشب صغيرة إلى أشكال خماسية وسداسية تحفظ بينها زجاجاً ملوناً على جانبي شكل نجمي سداسي كبير في الوسط كان زجاجه مكسوراً . تركني واتجه الى الباب وكومة المفاتيح بيده .

عرض الباب حوالي متر ونصف وارتفاعها عن الأرض الى القاعدة نصف الدائرية يقارب ثلاثة أمتار . النقشة تتكرر على الباب ، لا ينقصها شيء ، فقط تنعّم وتصبغ بـِ (الدملوك) .

ـ ادخل .

أمسك بيدي :

ـ هذا هو القصر . تريد أن تراه؟ أعرف ذلك . أعرفه . كثيرون قبلك جاءوا ليروه . قدتهم إلى غُرفهِ، ممراته . حتى القبو سأجعلك تراه، سنبدأ به أولاً .

إتبعني . هرول . ما بك؟ أنا أعرف هذا القصر أكثر من أي أحد آخر ، عمر . . عمر بأكمله قضيته فيه ، سنين طويلة ، فصول تتعاقب وأنا هنا ، معهم وبعيداً عنهم ، طفلاً ألعب مع أطفالهم ، وخادمهم لما كبروا ، أنا أيضاً كبرت ، هذا باب القبو ، مثلهم تماماً . حاذر وأنت تنزل ، بعض الدرجات متآكلة ، أمسك بالدرابزين ، عندما تزوجوا ، مثبت على الجانب ، وأنجبوا حملت أطفالهم ، مثل أبي . الظلمة؟ الكهرباء هنا عاطلة . أعرف أين أجد السراج . وضعته هناك : في الزاوية ، على السرير الخشبي حيث كانت تستلقي وقت الظهر ، أراها من النافذة ، هناك ، أتراها ؟ أعرف أن الضوء قليل . كنت أراها بوضوح . سأشعل السراج . إنتظر هنا . لا تتحرك . قد توقظها . ربّما ما زالت نائمة . حسن . وجدته . ها . . أرأيت؟ هذا هو القبو : جدران تسلقتها الرطوبة ، نخرتها الأرضة ، والماء . . الماء ينزّ من هنا . ، تعال لأريك ، من زمان ينزّ من هذا المكان ، عندما كانت تنزل وتراه تصرخ فيّ من الشباك ، أطل ، أراها مستلقية : إنزح الماء . حاضر . أسرع بالسطل وقطعة القماش ، أجدها على السرير : الهواء مشبع بالرطوبة . نعم سيدتي . أقلب قطعة القماش بالماء وعيني تفترس كرشة ساقها البضة . رفضوا أن يصدقوا أني كبرت . أعصر القطعة بشدة ترفع رأسها إليّ : هل انتهيت؟ أنت لا ترى الماء الآن ، نشفته قبل قليل ، بإمكانك تحسس الرطوبة بيديك ، هاتها ، بعد ساعات سيتجمع ، وسأنشفه من جديد . أرأيته ؟ الآن إتبعني . نضع السراج على السرير ، نطفئه ونخرج . أمسك بي وإلا ضللت طريقك . حاذر ، وأنت تصعد ، الدرجات مثلومة الحافات . حسن . تنفس . تنفس بعمق . الهواء في الداخل مشبع بالرطوبة ، هي كانت تقول ذلك . نحن الآن في الصالة . تعال . تعال لنقف في المنتصف تحت ثرية الكريستال ، أتعرف كيف علقوها؟ جاءوا بسلم ، سلم طويل كالذي يستخدمه رجال الإطفاء ، ربطوه ، لا أدري

كيف ، مع سلم آخر ، وعندما أوقفوهما شكل الرقم (٨) كما رسمه المعلم ذلك الصباح ، صعد رجل ضخم الجثة ، ألقى على كتفيه السلسلة الغليظة ، أتراها ، كانت تتدلى على بطنه ، تلامس ركبتيه ، صعد أحد السلالم ، علقها هناك ، ثم رفعوا الثرية وعلقوها فوق المائدة ، كانت هنا ، وهم ينتشرون حولها ، رجال ، نساء ، ملابس فاخرة ، أذرع عارية ، صدور مرمر ، سلاسل ذهب تتدلى من الجيوب ، أكف تضيء ، معاصم تبرق ، وأبي . . أبي كان يقف هناك ، أمام الباب المؤدي الى المطبخ ، ببدلته السوداء وقميصه الأبيض ، قطعة قماش مطوية بعناية على ذراعه اليسرى ، كنت في الخارج ألصق وجهي بزجاج النافذة ، أراه ، يأخذ لهذا كأساً ، آخذ من تلك قدحاً فارغاً ، أحمل الشالات والمعاطف وهو في الخارج يلتحف بمعطف عسكري قديم بعد أن ترك لي بدلته ، ما زالت معي ، سأريكها عندما تخرج . هنا كانت المائدة وحولها عدد من الكراسي كنا نحملها ، أنا وأبي ، في الليالي الضاجة الى تلك الغرفة ، ثم أصبحت أحملها وحدي .

كان يلهث . حبات العرق تتلامع على جبهته ورقبته . الثرية الكريستال كبيرة حقاً معلقة في قبة السقف العالية بسلسلة غليظة . الصالة حولي واسعة وخالية إلا منّا ، كان يمسح وجهه بذيل (الدشداشة) المتسخ ويتمخط بصوت عال . باب القبو أصبح خلفي ، أمامي ثلاثة شبابيك على شكل أقواس بارتفاعات مختلفة تطل على الأشجار المتخشبة ، إنها تتكرر على الجدار الجانبي . الأبواب ، كالشبابيك ، مصممة على الطراز الإسلامي . تحت الثرية المعلقة نجمة سداسية من مرمر أسود وسط دائرة مرمر أحمر بحجم قاعدة القبة ، ومنها تمتد ممرات سود الى الأبواب المحيطة بالصالة ، في الركن البعيد سلم نصف دائري . إتجهت إليه وهو يخطو الى جانبي :

ـ الغرف ، ألا تريد رؤيتها ؟

ـ سأراها عندما أنزل .

ـ أرجوك ، سيدي ، إنتظره هنا ، لا تصعد إليه ، إجلس هنا وسأذهب لأوقظه ، إنه يرفض دخول أحد غيري غرفة نومه ، أنا فقط من يدخلها ، إنه يثق بي ، يثق بي كثيراً ، أوقظه كل صباح ليغتسل ثم أحمل له الفطور ، دخلت دون أن أطرق الباب ، كان في الحمام ، سمعته يغني ، وهي ، بمنامتها ، تتحرك في الغرفة : ضعه . . ضعه هنا ، أشارت بذراعها العارية الى منضدة قريبة . إقتربت ، تسللت الى أنفي بقايا عطر . ومن خلف الباب كنت أسمعه يغني ، وكنت أراها بوضوح .

تركني وهرول الى غرفة في أقصى الممر ، إنحنى إلى ثقب الباب ثم أشار إليّ هامساً :

ـ إنهما معاً في الحمام . هه . . هه . . هه . . يغني كعادته . هذه غرفتهما .

ـ غرفة من ؟

ـ هس . قد يسمعك . قلت لك إنه لا يريد أحداً غيري يدخل غرفته .

ـ كان هنا غيرك ؟

ـ أبي ، وعندما ذهب بقيت وحدي . لا يسمح للطباخ الاقتراب من السلم ، عندما رآه يوماً فوق طرده . كثيرون . . كثيرون عملوا هنا ، رجال ونساء ، بعضهم كان يطرد بضجة بينما يختفي الآخرون فجأة ، ننتظرهم يومين ، ثلاثة ، ثم نبحث عن بديل .

ـ الغرفة نظيفة!

ـ نعم سيدي ، نظيفة . أنظفها يومياً . بعد أن يخرج تظهر في الممر ، تشير إليّ ، لا يمكنها مناداتي بصوت عالٍ كي لا يستيقظ أبوه ، إنه يشغل الغرفة

البعيدة، هناك، يكاد لا يخرج ، أحياناً ينام النهار بأكمله ، تشير إليّ ، أصعد بحذر ، أدخل ، تغلق الباب بهدوء ونبدأ التنظيف ، كانت تساعدني ، تساعدني كثيراً ، إلا أني هذا الصباح نظفتها وحدي .

مرمر أبيض بحمرة خفيفة ، في الوسط نجمة سوداء ، وعلى الجوانب الأربعة حزام من مرمر أسود يؤطر أرضية الغرفة . ذيول مسامير ناتئة ، أسفلها آثار إطارات مربعة ومستطيلة للوحات كانت معلقة . الشباك مسدود والستائر مسدلة .

ـ هيا أخرج . أخرج قبل أن يخرج من الحمام ويراك .

أقفل الباب بعد أن دفعني إلى الممر الممتد على طول الصالة المفتوحة . أبواب كثيرة موصدة على الجانبين :

ـ كل هذه غرف !

ـ نعم سيدي . غرف . غرف ممتلئة : سجاد فاخر ، أوان فضة ، نحاس ، مناضد من «الصاج» ، أرائك ، كراسي ، زجاجيات ، أشياء صغيرة يحضرونها معهم من الخارج ، وصناديق ، صناديق كثيرة وثقيلة كنا نجد ، أنا وأبي ، صعوبة في تحريكها أثناء تنظيف الغرف ، صناديق بأقفال كبيرة ، وعندما بدأوا يسافرون بدأت الأقفال تختفي ، الصناديق تخف أوزانها ، أعدادها تقل ، الأشياء الأخرى أيضاً اختفت معهم ، بعض الليالي كنت أسمع صراخاً ولغطاً وسباباً ، وفي الصباح أحمل الحقائب الى السيارة المنتظرة ، حتى الذين يأتون انقطعوا ، غرف عديدة أوصدت ، لم تبقَ إلا هذه الغرفة وغرفة العجوز ، إنه نائم الآن، أيقظه أبي ، كان يحمل إبريق الماء الساخن بيده ، وكنت أحمل الطست بيديّ ، إستيقظ ، أنزل قدميه إلى الطست أسفل حافة

السرير ، ساقان بيضاوان كالشحم تخططهما عروق زرق تتكاثف عند مشط القدم :

ـ أصابعي . . أفرك أصابعي .

ـ نعم عمو .

ـ عندما تكبر ماذا ستكون؟ طبيباً أم مهندساً؟

أجفف قدميه وأحمل الطست معي . تريد أن تراه؟ اذهب وحدك . المفتاح . . خذه ، إفتح الباب وادخل ، سأبقى بعيداً ، ستجده نائماً ، ولماذا يستيقظ؟ بقي وحده . آخر الحقائب حملتها هذا الصباح ثم نظفت الغرفة وحدي . لم تعد تساعدني كما كانت . وجدته وسط الصالة ، يطوف في القصر الذي رأيت أبي يمسح بلاطه ، يدهن أخشابه ، يقدم الشراب إلى أناس تغص بهم قاعاته وغرفه . أمس قالت لي : قدّم له الكثير من الشراب . غاب عن الوعي . ذهبت إليها . وجدته مضطجعاً على الأرض ، لم أحمله الى فراشه ، ضجرت منه ، كل ليلة أجده في مكان وأحمله بصعوبة ، لم تكن موجودة لتساعدني ، تصور ، حتى عندما حملوه لم ينتبه ، بقي نائماً كعادته ، لا أظنه سيستيقظ عندما تدخل ، غرفته هناك : في نهاية الممر على اليمين .

دخلت . العفونة تنبعث بشكل يصعب تحملها . أخرجت منديلي ، وضعته على أنفي وفمي . الغرفة زريبة . أكوام البراز على كل بلاطة تقريباً وحولها بقع البول المصفرة . في الركن ، بقع بول على أغطية ممزقة تتكوّم على أحد طرفي فراش مهترئ على طرفه الآخر بقعتان سوداوان فوق وسادة متسخة . ومن ذلك الركن تمتد خطوط الأرضة في كل مكان .

كانون أول/١٩٩١م

البصرة

موت أزرق

انسحبت الشمس. لسعات برد أزرق تتغلغل في الأجساد فتجعلها تتنحى الى الجانبين باهتزازات راقصة : جثة مكورة فوق قطعة (جنفاص) ، أمامها علب سكائر مفتوحة تتراصف بتتابع لوني معتنى به على جانبي واحدة زرقاء في الوسط فوقها علبة كبريت .

عربة تقترب . أيد أربع أخفت جميع العلب في جيوب بدلاتها الزرق المتسخة ، حملت الجثّة من الكتفين والقدمين ملقية بها الى جوف العربة المسود . . المختنق ببقايا قاذورات جعلت روائحها المقززة وجه الجثة يتحرك مبتسماً باتجاه السماء .

موت أبيض

طابور . . طابور طويل من البشر يمتد أمامه ، يبدأ من حافة المنضدة . . الى الباب ثم ينعطف باتجاه الممر الذي لا يرى منه شيئاً من مكانه هذا : غرفة خالية إلا من كرسيّ يجلس عليه ، منضدة ضائعة تحت أكوام أضابير بألوان مختلفة ، ومروحة سقفية تفشل ، بدورانها البطيء ، في تغيير جو الغرفة الخانق .

ينهض . يدفع المجموعة المتحلقة حوله الى الخارج ويُغلق الباب . طابور يتشكل من الباب الموصد وحتى غرفة المدير الذي خرج مستطلعاً الأمر . وإذ فتح الباب وجد جثة مكومة وسط الغرفة .

البئـر

بدت الطريق أمامي سوداء بمستطيل أبيض يرسمه الضوء المتسلل من الباب الموارب حيث يبدو جسدي كمارد جبار وسط بقعة ضوء : جثة هائلة ، ساقان قصيرتان ، والرأس بتحدب لا يكاد يبين بين الأكتاف المرتفعة .

أستدير . تصغر جثة المارد ، يلتهمها الضوء ، تتحول ، مع الأرجل ، إلى مجرد خطّ معتم وسط مستطيل مضاء بدأت كل من زواياه المتقابلة تضيق وتتسع . اختفى . واختفت معه بعض معالم كان الضوء المتنفس يكشفها : نافذة واطئة ، صفيحة قمامة ، بركة ماء قذر ، جثة جرذ كبير يتشممها قط أسود .

إتكأت ريثما أتبين معالم طريقي . تسربت برودة الطين الى كتفي ، الى ظهري ، تتسلقني ، تحتل ساقيّ ، وسطي ، أرتجف . أستحضر المعالم ، أحدد الانعطافات ، الشجرة ، بجذعها الهائل ، أتركها على يساري ، أتوغل ، أترك القرية خلفي : الجدران الطينية الراكعة ، سيقان الرجال المشعرة ، الملامح المختفية خلف «الفُوَط» و«اليشامغ» ، الهموم المزمنة ، ترسبات ماض سحيق ، روائح بخور ، أطعمة فاسدة ، أجساد تنضح عرقاً ، أتركها خلفي ، تلوك

أيامها متحلقة حول مواقد يجعل الدخان المتصاعد منها العيون تقطر ، والأنوف ترشح ، السعال يطغى على الهمهمات المكبوتة ، أتركها خلفي . أكتشف طريقي بصعوبة . القرية تغيرت ، شوارع جديدة فتحت ، أكواخ أخرى حشرت وسط أكواخها المتداعية . بيت تهدم . أسمعهم يتحدثون . أركض لأرى . السلسلة التي تربطني الى الجذع المتيبس وسط الباحة لاتسمح لي بالابتعاد. أستدير . أرى القفل الكبير الصدئ . كانت تجلس بباب غرفتها تنظر إليّ وعيونها تقطر .

***

ـ ألم يتحسن؟

ـ مازال ، كما ترين ، على حاله ، ولولا أني أربطه لما استطعت حتى أن أهيئ له لقمة .

ـ كل هذا بسبب البئر ، يقولون إنه كان يذهب كثيراً إليها ، يذهب وحده!

ـ كنت أراه يخرج ، الى البئر . . الى غيرها، لا أدري .

ـ البئر مسكونة .

ـ وعندما يعود كان ينام مباشرة دون أن يقول أو يأكل شيئاً .

ـ الله يشفيه . زوجي يقول لي : أصبحتِ رجلاً ، لكثرة الشعر على جسدي .

ـ تعالي إلى الداخل .

ـ لا . . هنا أحسن . الضوء هنا غزير وسترين أفضل .

ـ لأُحكم غلق الباب إذن .

***

دون أن أشعر وجدت نفسي أقترب من المقبرة . كنت في وسط الطريق بين كومة البيوت والقبور : طريق ترابي عارٍ ، على اليسار . . كان التراب وحده ، فيما يبدو صف من أشجار نخيل يحرسُ ضفة النهر على اليمين . بدت القبور لي قبراً واحداً بقبّة خضراء كبيرة في الوسط ، ومع اقترابي بدأت تنفصل بشكل صفوف ، أقترب ، يستقل كل منها عن الآخر ، أقتربُ ، تتضح حدودها ، ألوانها ، حجوم الشواهد ، خضرة القبة الداكنة بهلالها الصدئ ومصباحها المحطم . دخلت مجتازاً خطاً من سعف يابس مغروس في الأرض يسوّر المقبرة ، دخلت من الباب : فتحة وسط السور ، ومعي دخل كلب أبقع من شق في السور السعفي لم أتبين مكانه ، رأيته يقفز الى الداخل ، وقفت ، كان يرفع رجله ويبول ، أحسست امتلاء مثانتي ، (للمقابر حرمة) . . كانت أمي تقول ، (الموتى يعيشون في مملكة الله) ، مسحت أسفل بطني براحتي ثم أمسكته ، تسربت قطرات بول على فخذي . الكلب يبتعد عن الزبد الذي غطّى بقعة البول ، أرسلت عيوني باتجاهه حتى اختفى وسط القبور . أرخيت قبضتي عنه . أخطو الى الزاوية ، أقصى اليمين . . حيث الغرفة الطابوقية بقفلها الكبير المتدلي وسط الباب الحديد / كان التابوت يبتعد متأرجحاً فوق الأكتاف . القرية أمامي غائمة . ضباب يحجب عني البيوت ، يغيّب الأزقة الموحلة ، يمحوها . وجدتُ البيت بصعوبة . إبتسمتْ . كانت ، وهي تحدثني ، تستر جسدها بالباب : غير موجود ، أدخل ! المفتاح ، قلت لها . غابت قليلاً ثم قدمتْ لي المفتاح بوجه ميت/ والبئر بسورها الطابوقي المغطى بأملاح بيضاء ، أسندت ظهري إليه ، كنت ألهث ، مثانتي تكاد تنفجر ، اتجهتُ خلف الغرفة لأبول .

* * *

ـ هل انتهيت من الرقبة؟ يبدو هادئاً !؟

ـ نعم . بقي زغب ناعم على الصدر . أمام الغرباء يبدو هادئاً . أرخِ الثوب

عن كتفيك . وعندما أحضر له كتاباً .

ـ أخشى أن أثيره . هل ما زال يقرأ ؟

ـ لا . . لا تخافي . لم يعد يعرف أو يحس شيئاً . أحياناً عندما يثور أحضر له كتاباً .

ـ إلى هنا ؟

ـ أسفل قليلاً . أحضر له كتاباً ، يقلّبه ثم يرميه ، أحضر له آخر . الى هنا يكفي . وآخر حتى أحصل له على واحد يلهيه النهار كله . زوجك محق . منذ متى لم تأتني ؟

ـ فترة طويلة . لقد تغيّر ، تغيّر كثيراً!

ـ مَنْ؟ زوجك ؟

ـ لا ، هو !

* * *

أزحت الغطاء عن رأسي فأبصرت حزم القصب المتراصة فوق خشب (الچندل) . دعكت عيني . الغرفة لا أكاد أعرفها ، تبدو واسعة ، مظلمة ، كانت غرفتي بنافذة واحدة أوصدتها قبل أن أنام ، أتذكر ذلك ، وهذه لا نوافذ لها ! وخالية إلا من صندوق حديدي أزرق ، كنت أملك واحداً أزرق في غرفتي ، ولكن ليس بهذا الحجم ! دعكت عيني مرة أخرى ، تلمست رأسي ، جسدي ، كنت واقفاً قرب الصندوق ورأسي يكاد يخترق السقف ، فتحته ، وجدته مليئاً بالكتب : كتب كثيرة ، أغلفة ملونة ، ممزقة ، أوراق صفر . نهضتُ متجهاً الى الباب ، لا بدّ أن شيئاً تغير ، قوة ما حملتني الى هنا ، كان واطئاً ، عليّ أن أحني قامتي وأخرج ! يا الهي ! لم أكن أفعل ذلك ، كتفي تلامس عارضة الباب العلوية ، رأسي بمواجهة الجدار الطيني المتشقق .

خطوت . رأسي يخترق الجدار . الباحة خالية إلا من كومة ثياب سود وجذع متيبس هناك . . في طرفها البعيد . كنت محتاجاً للتغوط ، استحييت أن أسألها ، إقترب من الكتلة السوداء ، وجدتها أمي ، سألتها ، وقفت تنظر إليّ ثم دلّتني باصبعها ، لم تقل شيئاً ، أو ربما قالت ولم أسمعها ، عادت تكنس ، وعندما خرجت اقتادتني إلى الجذع المتيبس ، قربه سلسلة غليظة بقفل كبير صدئ . أخرجت المفتاح . ربطتني إلى الجذع . حاولت أن أكلمها . لساني قطعة حديد . صرختُ . صوتي علاه الصدأ . خرجت من باب مظلم في الركن تحمل طبقاً قدمته لي . التهمته . رميتها به . تهشم . جمعت حطامه وهي تنظر إليّ . شفاهها تتحرك . ألقتها في الخارج وعادت بصحبة امرأة أعرفها . تنظر إليّ .

أحسست بالخجل وهي تتطلع إليّ مربوطا بالسلاسل كالمجنون . جلستُ ساكناً . جلستْ . أغلقت أمي الباب بالرتاج وغابت في إحدى الغرف . عباءتها مكومة بحضنها . تنظر . ساكناً كنت ، ألتهم استدارة الوجه ، تكوّر النهدين . تلقيها جانباً . ترفع أمي الثوب . فخذاها كالمرايا . فتحتهما . كانت تتحدث إلى أمي . تنظر إلي بين فترة وأخرى . وأنا : أنظر اليها الوقت كله وجسدي كالعظم .

***

ـ قالوا : خذيه الى قبر «السيّد» . . اربطيه الى الضريح .

ـ وأخذته ؟

ـ أخذته . وما أن اقتربنا من المقبرة أفلت من يدي راكضاً الى البئر ثم الى غرفة المغسل الموصدة ، بقي يطرق الباب بكلتا يديه حتى وصلت اليه .

ـ . . . .

ـ صامتاً، كان يبكي . ولم أسمع صوته منذ ذلك الصباح .

ـ وربطته ؟

ـ النهار كله . نام طويلاً . وعندما استيقظ بقي هادئاً ، حتى ونحن نعود ، كان يسير الى جانبي كالطفل . وبعد أن وصلنا ربطته هناك .

***

يسحرني الهدوء هناك . كنت أحتفظ بالكتاب بكيس ورقيّ تحت ابطي . أتجول بين القبور . أوراقه صفر مهترئة . أقرأ الشواهد . تثير الفضول . أتأمل رحلة عمر : هنا يرقد . . . . . لذلك أخفيه بكيس ورقي سميك . أجثم عند شاهدة أخرى . أداري سره . يا قارئاً كتابي . وسري معه . الفاتحة . أقرأها وأنهض . هذا القبر بدون شاهدة : مجرد صفين من طابوق متآكل منخور ، مخسوف . تنتهي الجولة . أشد ساعدي على الكتاب متجهاً الى البئر لأطفئ عطشي . أتناول الصفيحة الصدئة ، ألقي بها الى الجوف المظلم ، أتابع اهتزاز الحبل ، توتره ، يرتخي ، أترك «شمس المعارف الكبرى» على الأرض ، أشعر ، وأنا أسحب الحبل ، بثقل الصفيحة ، أسحب ، لا بدّ أنها امتلأت ، أسحب ، يصلني صوت ارتطامها بجدران البئر ، تظهر متأرجحة كالبندول ، تقترب من حافة البئر بقفزات متعاقبة ، أتناولها ، يبلل الماء صدري ، أمسح فمي بكمّي ، أتناول كتابي متجهاً الى الغرفة/ «هاكَ» نسخة من المفتاح . ستنفعك . لا بدّ أن تقرأ في مكان هادئ ، آمن ستكتشف كم كنت تافهاً ، كم أضعت من وقتك بعيداً عن الحقيقة التي لا تقدمها لك كتبك ، انها تغيّبها عنك لتبحث عنها في كتاب آخر ، وآخر حتى جمعتَ كل هذا العدد من الكتب . ثم ماذا؟! لم تغيّر حتى نفسك . هذا الكتاب سيقودك الى النور ، فقط عليك أن تصبر ، تتحمل ، توضأ أولاً ، ثم ارسم لك دائرة على الأرض ، أجلس في وسطها واقرأ ، واياك أن تخرج منها مهما حصل ، سيحاولون اثارتك ،

تخويفك ، قد تصاب بلوثة ان خرجت منها . خُذ الكتاب/ .

دفعت الباب فظهرت أمام دكة غسل الموتى الاسمنتية ببقع بيض بفعل الصابون المتبقي ، حنفيتان صدئتان تحتهما ابريقان من نحاس مسود ، على الحائط . . قطعة ليف معلقة بمسمار يظهر ذيله فقط من الجدار الطابوقي . على اليمين : طبقة غبار تكسو بلاطات خرسانية متشققة . بقايا تابوت مهشم مركونة بجانب الحائط ، مكنسة مكسورة ، قدر نحاسي كبير . رسمت دائرة فرشتُ وسطها قطعة قماش وجدتها منشورة على بقايا التابوت . جلستُ أقرأ ، بيدي مسبحة طويلة ، خضراء / استخدمها لتضبط عدد التسبيحات كما هو مكتوب ، لا تزدْ ولاتنقص ، وكذلك الأوراد ، كُنْ دقيقاً ، فالزيادة أو النقصان تعني أن ذهنك مشوّش ، بعيد ، عندها سيفسد كل شيء/ ، أقلب حباتها بين أصابعي وأنا أقرأ . دَخَلتْ ، لا أعرف من أين ، فالباب أوصدته من الداخل قبل أن أجلس ، والنافذة الوحيدة خلفي لا تتسع لدخول جسد كالذي انتصب أمامي : عجوز شمطاء ، عارية تماماً ، جلد منكمش . . مقطع بخطوط كثيرة ، نهداها كثمار تركت دون قطف حتى نشفتْ ، عظام الوجه بارزة ، الخدود غائرة بين الفكوك ، تضحك ، تظهر أسنانها المنخورة بشكل مقزز ، مخيف ، قرفصتْ أمامي وبدأت تتبول وهي تنظر اليّ ، تركت القراءة مثبتاً بصري على الأسنان المنخورة ، البول الذي غطى أرضية الغرفة ، نظرتُ ، ما زال البول ينبثق من بين فخذيها ، ضاعت الدائرة ، هاجمتني رائحة زنخة ، تذكرتُ وصيته ، كان البول يرتفع ، / سيحاولون إثارتك ، تخويفك ، قد تصاب بلوثة ان خرجت منها/ ، أتنفس بصعوبة ، / فقط عليك أن تصبر/ ، يمتلئ صدري برائحة النشادر ، / تتحمل/ ، يرتفع البول الى صدري . . أصفر ، كثيف ، أختنق ، دافئ يلامس رقبتي ، غرقت الدكّة ، طاف القدر . . الأباريق . . بقايا التابوت على بحر البول ، وهي : ما زالت على حالها ،

مقرفصة تبول . أحكمتُ غلق فمي كي لا يتسرب اليه ، ستنهض . . كنت أقول لنفسي ، ستكفّ ، هذا يكفي ، هذا يكفي ، يكفي ، يكفي ، يكفـ . . . . نهضت راكضاً ، تركت الكتاب ، المسبحة تركتها متجهاً الى البئر . أرخيت الحبل ، غابت الصفيحة في الجوف المظلم ، يصلني صوت ارتطامها بسطح الماء ، أسحب ، ترتفع ، أسحب ، تصل ، أتناولها ، ألقي الماء على رأسي . . والصفيحة الى البئر ، أسحب ، أتناولها ، أرميها مرة أخرى ، وأخرى ، أغسل جسدي من بقايا البول ، أخلصه من الرائحة ، آخر صفيحة قلبتها فوق رأسي ثم وضعتها على سور البئر ، اتجهت الى غرفة المغسل ، وجدتها جافة . . لا أثر للبول فيها ، بقايا التابوت مكانها ، الدائرة موجودة ، وسطها . . كان الكتاب مقلوباً وفوقه المسبحة .

***

ـ ولم يتكلم ؟

ـ لم يتكلم . في البداية كان يصرخ عندما يريد شيئاً ، والآن بمجرد أن ينظر إلي أعرف ما يريد .

ـ لم ينفعه «السيّد» إذاً ؟

ـ . . . .

ـ هل انتهيت ؟

ـ تقريباً .

ـ يجب أن أذهب قبل أن يعود .

***

تهزني فأستيقظ . أجد السلسلة مكومة قربي . تقودني الى الغرفة . المفتاح بيدها ، أبيض كالفضة ، وآخر طويل يتأرجح في خيط أخضر . فراشي قرب

الجدار ، وهي مجاورة الباب . أنام حتى يشرق فجر فضيّ آخر ، جديد ، ناصع . اياك أن تلوثه ، اجلس هادئاً . وجلستُ . كانت نائمة . في الخارج يضيء المصباح باحة خالية إلا من جذع متيبس ، سلسلة في أحد طرفيها قفل كبير . . . صدئ . طرف الخيط الأخضر يظهر من تحت الوسادة ، سحبته بهدوء ، ظهر المفتاح الفضي أولاً ، يلتمع . ما تزال نائمة . / لنقرأ معاً. وهو؟ غير موجود . ولكنك قلت . . . . . كنت أكذب . أريد أن أخرج . مستحيل ، لقد أوصدت الَباب ، والمفتاح ها هو . خبأته بصدرها . خذه ان كنت تريده . ترددتُ . مددت يداً مرتجفة الى الصدر الممتلئ/ . كان قد بدأ يظهر من تحت الوسادة . أمسكته كي لا يهرب . / تضحك . الآن بامكانك الخروج / . تركتها نائمة . ابتلع الباب عنق المفتاح كله . قد تصرخ إذا استيقظتْ ولم تجدني . ستبحث عني . أين ؟ لا أدري أين وصلتُ ، الطريق تغيّرت ، الشجرة لا أثر ، اتركها على يساري ، أتوغل في العمق . سأجد العجوز هناك . . تبول . لقد أغرقت القبور . قلت له : رأيتها ثم جئتك راكضاً ، يجب أن تمنعها والا سنغرق كلنا ، «هاك» ثيابي ، شمّها ، ستجد الرائحة ، خفتُ أن أذهب للبئر لأغتسل ، سأغتسل في البيت . إذا أردتَ أن تَتبولَ ناديني ، اصرخْ ، افعل أي شيء ، لكن لا تَبُلْ في ثيابك . فهمت؟ اخلع «دشداشتك» الآن واغتسل . هذا هو الماء . ثيابك النظيفة معلقة في المسمار ، خلف الباب . أغلقت الباب فبانت «الدشداشة» بلون رصاصيّ تكاد تلامس الأرض . سكبتُ الماء على رأسي . رميتُ الصفيحة الى البئر . بقيتُ أنتظرها . جالساً ، متكئاً على وسادة قطنية اسطوانية طويلة . ظهرت بثوب فاضح . تطوقني أذرع مكتنزة . سينقل اليك جنونه . أترى العلب هناك ؟ تهمس بأذني ، يصفّها أمامه بعد أن يشعل النار . يفتح كتابه . بجانبه كوب مليء بالزعفران . . وريشة . يفرغ بعضاً من محتويات العلب في النار ، تتعالى

الأبخرة ، روائح مختلفة لا أميّز منها إلا رائحة «الحرمل» . أسمع همهماته ، خطواته وهو يطوف حول الموقد ، وأنا في الغرفة المجاورة ، وحدي أتقلب ، أنظر من النافذة علّي أصطاد رجلاً يمرّ . أترك الكتاب الآن . أخذت الكتاب مني وألقته بعيداً . ستتلفك . لقد عزلتك عن الناس ، والله أعلم ماذا ستفعل بك مستقبلاً . ثم تركتني . تناولته وخرجت فيما بقيتْ هي مضطجعة . ربما استيقظت الآن ولم تجدني . سحبتُ المفتاح من تحت وسادتها وهي نائمة . ثيابي منقعة بالبول . قلت لها : العجوز هي التي بالت عليّ ، كل يوم تفعل ذلك ، كل ليلة ، تأتي ، تجلس قربي ، تبتسم ، أرى أسنانها المنخورة ، تبول حتى أغرق . تخرج . ترفض أن تقودني للحمّام لأغتسل . قلت لها : سأغتسل في البئر ، فقط أتركيني أذهب . أتناول الصفيحة . أتركها تسقط في الجوف المظلم . أتابع اهتزاز الحبل . توتره . أسمع صوت ارتطامها بوجه الماء . يرتخي الحبل . أمسكه . أسحب . أحس ثقل الصفيحة . أسحب . لا بدّ أنها ممتلئة . أسحب . يصلني صوت تحررها من الماء ، اصطدامها بجدران البئر . تظهر متأرجحة . تقترب مني . أتناولها بيديّ . أسكب الماء على رأسي ثم ألقي بها مرة أخرى . . وأتنفس بعمق .

كانون أول ـ ١٩٩٢م
مايس ـ ١٩٩٣م
البصرة

صعود

إلى: الراحل .. محمد اشبلي شناوة

في العمق ، الذي كان مظلماً قبل لحظات ، تفجرت شموس كثيرة ، عالم مثير يتكشف . تركتُ يد الرجل الذي يحاول انتشالي . وقبل أن تبتلعني المياه كان كل شيء في الخارج قد فقد بريقه .

أمنية

إلى: طالب فاضل يعقوب .. الرجل الذي التهمته الحرب

وحده، الوجه المعلق بقضبان نافذة بُنيَ نصفها بطابوق أصفر جديد، يثيره. يراه مكتملاً . . ثم يتشظى الى قطع تسبح في فضاء الصفّ المعتم . أشار إليه :

ـ وأنت؟

ـ أريد أن أغفو بهدوء .

مكتملاً كان وجهه قبل أن يتناثر الى مزق صغيرة فرّت الى الخارج عبر ما تبقى من مساحة النافذة .

نوافذ

إلى : ابراهيم نصر الله

نافذة/١ :

(كان يبحث عن قدميه لينهض)*. أرقبه بحذر من تحت طرف الغطاء. انه يفعل ذلك يومياً دون أن يشعر أن ثمة من يراقبه . وكنت أراقبه : يجلس ، يزيح الغطاء عن جسده الذابل ، يبحث عن قدميه وسط ظلمة يخترقها بصيص ضوء متسلل عبر الكوة المستطيلة الضيّقة في الباب الحديدي الموصد دائماً .

حوله . . تتبعثر الأجساد بفوضى تامة ، تلتقي رؤوسها في منتصف القاعة . في الصيف كُنّا ننقل رؤوسنا الى الخط الواصل بين النافذة الوحيدة في الجدار المواجه للباب والكوة المستطيلة الهزيلة ، نفعل ذلك هرباً من حرارة الجدران إلى نسمات قد تتسلل بحذر في فترات تبديل وجبات الحراسة في الخارج .

لم نجد قدميه بعد . كنت أبحث معه دون أن يراني . الرجل الأعمى ، في الركن ، يشخر كعادته ، بطنه المنتفخ يعلو ويهبط برتابة مملّة . وحده يشعرك بوجوده ، فيما تتلاشى بقية الأجساد تحت أغطيتها الثقيلة .

ينهض ، هذه المرة ، دون قدميه . يطير الى النافذة الشرقيّة اليتيمة . يلتصق

بها . في الأفق . . بقايا ليل تحزم أمتعتها . يظلل عينيه بكفه وينظر . كان ، كل صباح ، يهتف : «هلا بيهم . . هلا» . . مستقبلاً جموعاً وهمية تزحف من الشرق . . تطلقه الى مدن مضاءة ، هواء حي ، تخلصه من رفقة حارس يقف على رأسه حتى وهو يقضي حاجته . إلا أنه بقي صامتاً حتى اشتعل الأفق دماً . طار الى فراشه . غيّبته أغطية رثة . تململ لحظات ثم هدأ تماماً . بقية الأجساد بدأت تتحرك . . كان هو ساكناً . . والرجل الأعمى يشخر ، كعادته .

نافذة/٢ :

(يرمم نافذة غلقت بالصفيح)* . أغلقها هو قبل شهر . . وربما قرن . في الخارج . . لم يعد ثمة ما يغريه بالنظر اليه . تغير ، فجأة ، كل شيء . أفاق . نافذته كانت مشرعة . وكانت الشجرة قد اختفتْ . المرأة ، التي تحتل النافذة المقابلة ، ضائعة ، أو هكذا رآها قبل أن تقفل نافذتها وتغيب عنه . بدا الشارع مقفراً الا من بعض أشباح تتراكض باتجاهات شتى . وبقي هو . . جالساً خلف نافذته حتى المساء . تركها مفتوحة تلك الليلة ، وفي الصباح قرر أن يغلقها . أوصدها ، أولاً ، من الداخل ، ثم أحضر قطعة صفيح غطى بها الشباك من الخارج . كان ذلك قبل شهر . . وربما قرن .

صحا بعد شهر ، وربّما قرن . . أو قرون . أحس أن ذاكرته تخونه . أشرع نافذته . وعلى الصفيح . . بدأ يستعيد ذاكرته ، يرممها . رسم النافذة المقابلة ، الجسد ، الذي اعتاد رؤيته فيما مضى ، وضعه في الزاوية ذاتها ، الوجه . . رسمه ، كما كان يراه ، مشرقاً ، إلا أنه ، وفي فترات انشغاله بمكان آخر من اللوحة ، كان ينظر اليه فيجده مزموماً بشدة . . غائماً . بحث عن غريمه الذي يفسد عليه متعته ، وإذ لم يجد أحداً عاد ورسم الفم ضاحكاً ، أظهر أسنانه ،

ثم وجده عابساً . رسمه من جديد ، ولما بدأت ابتسامته تضمحل شطبه . انتقل الحزن الى العينين . محا الوجه كله . . أخفاه . حاول أن يرسم شيئاً آخر . بدت خطوطه عاجزة . اقتنع أخيراً أن ذاكرته تركته . طلى الصفيح كله بالبياض وبدأ باحداث ثقوب يمكنه من خلالها النظر الى الخارج بوضوح .

نافذة/٣ :

وحيداً وجد نفسه ، بعد أن هدأ ضجيج الأبواب والخطوات المبتعدة ، داخل غرفة قذرة تحيطه جدران أربعة وباب موصد . بقع بول جافة تنتشر على الأرض الخرسانية . على الجدران . . حفرتْ عبارات للذكرى ، أسماء ، رسوم عادية ، تواريخ ، وخطوط كثيرة .

قبل أن يفعل أي شيء آخر . . تناول مسماراً أبصره في احدى زوايا الغرفة ، رسم نافذة واسعة على الجدار ، ولكنه رسمها مغلقة . تراجع متأملاً : (سأفتح نافذتي في الصباح)* . ورمى المسمار في زاوية من زوايا الغرفة .

تشرين اول - ١٩٩٦م

الأردن

---

* بين القوسين للشاعر ابراهيم نصر الله .

الحرب

انحنتْ ممسكة بحافة المعجنة فوخزت بقايا العجين المتيبس راحتيها الطريتين البيضاوين. من النافذة البعيدة تبدو السماء . ترى بوضوح بوادر جنود سود تزحف محتلة الأفق . في مثل هذا الوقت تُشعل السراج. هل سيشعلونه الآن!؟

أغتيل النهار . تفترس ، بأسنانها ، شفتها الذابلة. تتشبث بحافة المعجنة. صوت الآخر يصلها بوضوح واضعاً في كيسها القماشي الأبيض خمسين رغيفاً أسمر .

خيانة

ـ ولكني أمس الأول كنت في الواجب !؟

ـ واليوم أيضاً .

ـ ولكن . . . .

ـ في الساعة الثانية .

ومضى مبتعداً .

مدّ يده وأسكت منبه الساعة . قبل أن يبتعد أضيأت غرفة نومه . رأى زوجته ، كما رآها أمس الأول ، تنضو عنها ثوبها ، استبدلته بآخر أكثر عرياً . سرّحتْ شعرها . طلتْ شفتيها . فتحتْ زجاجة عطر ، دلقت قليلاً منه في كفها ، مسحتْ رقبتها . . ابطيها . وبقيت تنتظر .

تنهّد بحسرة وابتلعه الظلام .

الأشهب

دخلتُ المدينة على حين غفلة من أهلها . . خائفاً أترقب . هكذا أوصاني رجل يسدّ جسده الضخم بوابة المدينة الوحيدة . طردني أولاً . قال : إنّ الدنيا ليل . . وممنوع دخول الغرباء الى المدينة ليلاً . وبعد أن ناولته شيئاً مما أحمل سمح لي بالجلوس . «ستتعب» . . قال لي ، «لن تجد نزلاً واحداً يأويك ، هذا إذا لم يتخطفك العسس» . ناولته خمراً كنت قد حملتها خصيصاً له . تذوّقها أولاً ، وبعد أن امتصّ بكلّيته مذاقها فتح لي ساقيه وتركني أدخل .

***

قضيت الليلة في خربة ، حشرتُ جسدي في زاوية مظلمة لا تطالها أنوار قناديل الطريق . تدثرت بمعطفي . فوق رأسي بوم ينعب بمجرد أن أطبق جفني . بقيت يقظاً تصلني أصوات عربات . . صليل سيوف . . معارك تجري في مكان ليس بعيداً عن مخبأي . تجاسرت مرة ورفعت رأسي لأنظر الى الطريق عبر جدار الخربة الواطئ . رأيت رجلاً أشهب فوق حصان أبيض ، ظهره منتصب ، تحف به مجموعة مدرعة بالسيوف والرماح . بقيت أنظر اليه حتى غاب عن بصري . عدت إلى مخبأي . تدثرت بمعطفي وحاولت أن أنام ،

إلا أن البوم بقي ينعب حتى الصباح .

***

في حانة قريبة . . دفّأت جسدي بكأس خمرة هجينة اغترفها لي الساقي من زير من الفخار مغطى بصفيحة صدئة . كان ملتحياً ، أسنانه صفر منخورة . خلّفه تماماً صورة لرجل أشهب بتقاطيع حادة وعينين ثاقبتين أحسهما تخترقاني . حملت كأسي الى زاوية بعيدة وبدأت أرشف منها رشفات سريعة أختلسها عن عينيه . أدهشني أن جميع روّاد الحانة يفعلون ذلك ، كانت كؤوسهم ، جميعها ، مخبأة تحت المناضد . وحده ، كأسي ، ينتصب بجرأة . اختطفته ودسسته تحت ردائي قبل أن تخترقني عينا الرجل الأشهب . كان ينظر إليّ والكأس تحت ردائي وقد اندلق بعضها فوق ثيابي . نظرت اليه . . كان فيه الكثير من رجلٍ رأيته ليلة أمس فوق حصان أبيض .

***

واقفاً كنت ضمن طابور طويل يتحرك ببطء سلحفاة هرمة منتظراً دوري أمام البوابة الخلفية لـ (ديوان العطاء) . ذهبت أولاً الى البوابة الرئيسة ، أخبرتهم أن موعد عطائي قد حلَّ . رأيت رجالاً يدخلون دون أن يستوقفهم أحد . «حسن» . . قال لي رجل لا يحمل سلاحاً يقف بين حارسين ضخمين . «إذهب إلى البوابة الخلفية» . ذهبت بعد أن دلني على الطريق بيده . وجدتها بوابة ضيّقة تتسع ، بالكاد ، للدخول بشكل جانبي . شخص بدين يتقدمني لم تتسع البوابة لجسده ، حاول الدخول فعلق كرشه بقائمة الباب . «أنت ، بهذا الكرش ، لستَ بحاجة للعطاء» . طردوه ودخلت . قادني رجل أعمى الى غرفة بائسة تتوسطها منضدة تغيّب سطحها سجلات ضخمة ، خلفها . . وتحت صورة لرجل أشهب بتقاطيع حادة وعينين ثاقبتين . . يجلس رجل كهل يتدلى حاجباه فوق عينيه . «اسمك» . أخبرته فدوّنه ، وأمامه كتب : ألف درهم . أعطاني فقط خمسمائة . إبتزّني الأعمى ، وهو يقودني الى بوابة

الخروج عبر طرق ملتوية ، فأخذ مني مئة ودفعني خارج البوابة بطرف عصاه .

* * *

في مسجد بطرف المدينة البعيد دخلت لأبول فحملتني موجة عمائم بيض برّاقة الى الداخل . جلست بينهم . فوق درجة المنبر العليا كانت صورة الرجل الأشهب . . تلك التي رأيتها في الحانة . . موضوعة بعناية . إخترقتني عيناه فحولّت بصري عنه . بعدها ضعت في فوضى الأجساد التي وقفتْ بمجرد أن دخل رجل من بوابة جانبية . إنسللتُ خارجاً . كان الوقت ظهراً . إبتعتُ ، بمئة درهم ، خمراً للرجل الذي سيقابلني عند بوابة المدينة الوحيدة . خبأتها بعناية في كيس كنت أحمله معي . . وانطلقت .

رأس

وسط كومة الأوراق المقدمة إليه في ملفه كُتبَ على ظهرها بخط كوفيّ مزخرف «بريد السيد المدير» ، لفتت انتباهه ورقة واحده كتب عليها :

طلب شراء رأس

يرجى التفضل بالموافقة على شراء رأس بالمواصفات التالية :
- عين واحدة في الوسط .
- خال من الآذان .
- له أنفٌ كبير .
وَ - خال من اللسان .

توقيع

كان التوقيع خالياً من الاسم . وعندما خرج ليسأل عمّن قدّم هذا الطلب الغريب وجد شخصاً بدون رأس يجلس الى منضدة السكرتير ، هبَّ واقفاً وسأله :

- نعم أستاذ؟!

مفتاح

ثلاثة رفضوا مساعدة أبي :

ـ صانع المفاتيح ، إذ قال له بعد أن جرّب عدة أكوام منها : لا أستطيع ايجاد واحد مناسب !

ـ أمي . . أخفته بعيداً بعد أن وجدته ـ صدفة ـ مخفياً بعناية في درج مهمل .

ـ وأنا ، لا أدري لماذا!؟

الطوفان

الى : علي سالم .... الذي غاب فجأة

المدّ يصعد. كنت هناك : أمسك قصبتي على الشاطىء منتظراً صعوده . الأسماك تأتي مع المد/ واهماً كنت/ ، علب صفيح اسطوانية فارغة، أخشاب، قصب ، أحذية ممزقة ، أشنات طافية ، زيوت ترمي بها المراكب ، / جثث لفظتها الحروب . نقترب من الجثة . عينان زرقاوان . أجذف . . أجذف، صرخ فيّ . كانت متخشبة ، داكنة . خيط طحلبي أخضر ينبت في الفم . بقايا عينين . بقايا أنف . شفاه مزرقة/ ورائحة المد التي لا يمكن أن يخطئها أنفي .

المدّ يصعد. أؤرجح ساقيّ المتدليتين على الضفة باتجاه الماء/ لا تدل كفك في الماء . القرش يجن من رائحة الدم/ . الماء بعيد عن أصابعي. قصبتي مطروحة بجانبي . تناولتها / تركتها. حرت أين أختبىء . . الأرض عارية . ركضت الى ساقية جافة . رشقة طلقات قربنا . رفعت رأسي : الطائرات! كانت خسائرنا قصبتين. وضحكنا/ وبدأت أفتح خيط النايلون الملفوف على طولها ثلاث مرّات . أخرجت كتلة عجين من جيبي . أمسك بالصنارة. أضع

قطعة عجين حول جزئها المدبب ، أضعها بعناية محاولاً إخفاء الجزء المدبب بأكمله مستعملاً إبهامي وسبّابتي . سحبت قطعة الفلين إلى أعلى . أنزلتها قليلاً . قذفت الخيط الى الماء . سحبه التيار/ الى الضفة . علي . تلتهمني العيون الزرق . يقول إبتعدوا؟! وهل يملك الشط؟ إنه يعيش تحت الجسر . ألا يصله المدّ؟ الماء ينحرف عن فراشه لأنه يعرفه ، كائنات الشط كلها تعرفه ، تجتمع عنده بعد العشاء ، تحت الجسر . يشربون . يغنون ويرقصون . ألا ترى أنه يصيد الكثير؟ يمدّ يده ويستخرج السمك . لنبتعد . ومع حركة الموج كان الماء يدخل فم الجثة ثم ينساب بهدوء عبر حافة الفم/ ، سحبه الى آخره . إستقر . قطعة الفلين طافية ، ساكنة . لامس الماء قدمي . برودته تتغلغل بين أصابعي . رعدة خفيفة سرت في جسدي كله/ ألم ترَ غريقاً في حياتك؟ لست خائفاً . لنقترب إذن . إقتربنا ، عيونه الزرق تتشبث بالجثة . أخذت الجثة لون عيونه . عيونه أخذت لون الجثة/ . الأسماك تأتي مع المدّ/ يحملها على ظهره يسحبها من رأسي فأراها أمامي ، طافية . أغمض عيني . أراها طافية . أمي تقول : لا تحضر السمك الميت في الماء وتدعي أنك صدته/ . قطعة الفلين ساكنة ، علقت بها كومة قصب ، إلتفت حولها خيوط طحلبية داكنة تتلامع تحت أشعة الشمس المربعة في قلب السماء .

غمر الماء أقدامي . دعكت ظهر كل قدم بباطن الأخرى ثم حركتها بعنف لأزيح عنها أشنات طافية لزجة كانت قد علقت بها . سحبت الخيط . تحركت كومة القصب فيما بقيت الخيوط الطحلبية ملتفة حول قطعة الفلين . رفعتها . رميتها الى النهر مرة أخرى . كانت لزجة/ يلتصق الثوب بجسدها . وخزته بإصبعي : علي . . علي . تهت في هدوئه . سحبتْ ، بإصبعيها ، الثوب المتسلل بين ردفيها . كان الوقت ظهراً/ . وضعت عجينة جديدة . أعدتُ الخيط الى النهر . الماء يلامس كرشة ساقي . قطعة الفلين ساكنة . كائنات

صغيرة أحس بها تصطدم بالجزء المغمور من ساقي/ تحتل الجثة بشكل مقزز ، تستوطن الشعر ، تخرج من المناخر ، تطفو على الوجه ، على أذرع ملتوية معكوفة الأصابع ، أظافر زرق ، على الثياب ، تخرج من الجيوب . إبتعدوا ، كان يصرخ . علي . يجذف باتجاه الجثة . نهضت . دفعني بطرف مجذافه . كاد الزورق ينقلب . صدم الجثة . تفتق لحم الوجه . كالعظم، وجهي أصفر . مجانين . . مجانين ، وشتمنا . قال لي : إنه لا يملك الشط ، لا يستطيع منعنا من الركض فوق الجسر . كان يزرع عينيه الزرقاوين في الجثة/ .

الأسماك تأتي مع المدّ/ تراها طافية وتحضرها ، الذي يموت في الماء لايؤكل . كانت تتلمظ ، تمسح شفتيها بلسانها وتهزّ ذيلها . قذفت السمك إليها . لسانها أحمر كالدم/ . ومع المدّ تأتي أشياء كثيرة . «(عبد الشط) يأتي مع المدّ» . لا بدّ أنه الآن في النهر . يسبح تحت السطح . يزحف فوق طين القعر الناعم . يختبئ بين مستعمرات الطحالب . «إنه يأتي مع المدّ . يخرج من الماء دون أن يراه أحد . جدّك/ خطت كفنه بيدي . شققت بفمي فتحة للرأس . كان يقلب جسده الذابل على دكة إسمنتية ويصب الماء المغلي بالسدر . غسل الفم . تدلت يده الى الأرض . أدخل إصبعه وفرك أسنانه . رفعها أخي . صبّ الماء في أذنيه . حملوه الى الداخل . خطت الكفن؟/ رآه في (كاع السيّد) ذات ظهيرة . كان يسقي ورآه : رأسه كبير ، عيون كالجمر ، شفاهه غليظة ، أما أنفه فأكبر من أنفك مرّتين ، تتدلى من أذنيه وأنفه حلقات ذهبية كبيرة ، لونه مثل عباءتي . رآه يأتي راكضاً ليرمي نفسه في الماء . كان المد ينزل» .

الماء يغطي ربلتي ساقيّ . جرذان تنتقل بين الثقوب ، إنها تفعل ذلك يومياً ، ولكنها اليوم تتركها الى الشارع ، ثلاثة جرذان كبيرة تتسلق الضفة الطينية ثم تختفي . «كان معه طفل/ ذراعاه ممدودتان أمامه وفوقهما الطفل . دخل

بعمامته السوداء . كنا مجتمعين . الجامع نفس الجامع ، ولكن البشر . . . . . .
الكل صامتون . أسمع الهواء الداخل الى الصدور . العيون معلقة بجثة الطفل المذبوح . ما ذنب هذا الرضيع؟ آه . . آه لو رأيت . كان كابوساً وليس حلماً . ستقع الحرب ، قال جدّي/ . إنه يخطف الأطفال من الشارع ظهراً» .

الخيط متوتر . قطعة الفلين تغيب وسط كومة قصب أخرى وخيوط طحلبية كثيرة . سحبت الخيط . إنسحبت الكومة كلها باتجاهي . رفعته . تفرقت . بقيت بعض خيوط طحلبية عالقة بجزء الصنارة المدبب . جرذان كثيرة بدأت تترك جحورها ، إبن عرس ، (أبو الجنيب) ، كائنات لم أرها يوماً ، لا أعرف أسماءها ، ونمل . . نمل كثير ، نمل أحمر ، أسود ، نمل كبير له أجنحة ، كلما كانت تتسلق الضفة ، الماء يغطي ركبتيّ ، المدّ يصعد . إلى أي مستوى يصل يومياً؟/ يقول تحت فراشي . ولماذا تذهب إليه؟ ليعلمني الصيد . ما زلت صغيراً . على الصيد؟ على الجلوس جنبه ، يقولون إنه . . . . . . كذب ، (جاسم كاكا) لا يفعل ذلك ، أبي يعرفه/ أحس بدبيب يغلف جسدي . قمت . نزعت (دشداشتي)/ أمامه ؟! لم يكن موجوداً . كان في النهر . بعثرت فراشه وحاجياته . لم أجد غير خيوط صيد ، رفيعة وسمينة ، وصنارات كثيرة ، بعضها صغير وبعضها كبير/ . كانت سوداء من النمل المتجمع عليها وعلى كل مكان من جسدي : ذراعي ، بين فخذي ، فوق صدري ، يدبّ على ظهري ، تحت إبطيّ . أحس بنهاية دبيبه كطوق في أعلى رقبتي . نفضت (دشداشتي) . سقط بعضه في الماء . نفضتها . وبعضه على اليابسة . كوّمت (الدشداشة) وبدأت أنظف جسدي .

المدّ يصعد . تجاوز الضفة . حمل التيار قصبتي والخيط . ضاعت كتلة العجين . النمل يتساقط من جسدي . يهرب . كلاب تهرب . قطط . الماء يغمر أقدامي . حمير تنهق . يرتفع الى ساقي . ثغاء أغنام . حصان يخب .

كائنات تتصادم ، يدوس بعضها بعضاً . أطفال يصرخون/ لنختبىء . الدوي يقترب . علي . أركض . . أركض/ . نساء بشعر منشور ، أثداء مكتنزة ، بطون منتفخة ، بطون ضامرة . هياكل عظمية تركض/ رميت جسدي الى الأرض . قطع الحديد الصغيرة تمزق الهواء . لم أعد أراه . كان الدوي قريباً/ . الماء يحتل وسطي . كائنات خرافية تخرج من النهر . تظهر رؤوسها . وعندما تقف تبرز أجسادها المتقرنة الى منتصفها . عيونها حمر ، قاسية . أذرع طويلة بمخالب حادة تمدّها إليّ . أركض . أحاول الاختباء / بين الأجساد الكثيرة بحثت عن عيونه الزرق . لم يكن موجوداً . وكانت خائفة تشدني إليها مع كل دويّ نسمعه/ . الكائنات الخرافية تتكاثر ، تمد أذرعها الى اليابسة ، تقبض قبضة من السيل الهادر : رجال مسنّون ، حمير ، أطفال ، نساء صغيرات ، وشجرة/ إنطفأت عيونه الزرق/ . تفتح أفواهها . لها أفواه بحجم بوابات المدن ، بحجم الشط ، بكبر السماء . تتطاير ألسنة لهب أحمر ، أزرق ، ينتشر في كل اتجاه ثم يختفي . تضعها في فمها . تشتعل الشجَرة . الماء يرتفع . ينبجس من كل مكان . قبضات أخرى ترتفع الى الأفواه النهمة . غابت الأشجار الى منتصفها . غرق الكثير . / تهدمت بيوت/ . طافت أجساد بشر ، قطط ،/ أغطية مخططة بالأخضر والأبيض/ كلاب ، / أحذية بأعناق طويلة ، خوذ/ . كانت الكائنات الخرافية تلتقط ، بمخالبها الحديدية ، الجثث الطافية ، تضعها في أفواهها ثم تزفر . مناخيرها كفوهات البراكين ، تقذف الحمم .

الماء أغرق المدينة . / تحولت إلى خرائب/ . غابت البيوت . غرقت . / تهدمت/ . المخالب تمتد لترفع ما بقي من جثث . الماء يرتفع . وقفت الحيوانات الأسطورية ، شكلت حلقة حول المدينة التي أغرقها الطوفان . يخرج (عبد الشط) من منتصف الحلقة ، يظهر فجأة ، يحدث خروجه موجة

رهيبة ، عالية . أحتضن غصن الشجرة بقوة أكبر ، أحيطه بساقي . جسده الأسود يتلامع . حلقات الذهب تشع . يزفر شرراً . لم يبق غير قمم الأشجار ورؤوس الحيوانات الخرافية وهي تتلمظ بألسنة نارية . الماء يطوق وسطي . أحتضن قمة الغصن . يرتفع . يغطي صدري ، رقبتي . أغلق فمي كي لايدخله الماء . يلامس منخري . أصبر . أختنق . أرفع رأسي لأتنفس . يشير (عبد الشط) برأسه إليّ . تمتد مخالب كثيرة باتجاهي . أغمض عيني . / عندما ابتعدنا انتشلوا الجثة . كانت زرقاء . . كعيونه/ .

آذار- نيسان ١٩٩٢م
البصرة

الطابق الخامس

وأنا أطوي كل درجتين أو ثلاث درجات صاعداً الى الطابق الخامس صادفني كهول كثيرون ينزلون بتمهل مما اضطرني ، أحياناً ، للتنحي جانباً . بعضهم يفترش الأرض عند بسطات السلم . سألت أحدهم قبل أن يغفو :

ـ أين كنت؟

ـ في الطابق الخامس .

ـ أهو بعيد من هنا ؟

ـ . . . .

أشار الى السلم ثم سقطت يده إلى الأرض وبدأ يشخر . حاولت أن أقفز فوجدت أن قواي تخونني . أمسكتُ بالدرابزين وبدأتُ أصعد بتمهل .

في الأعلى . . جدار بمرآة كبيرة عُلّقتْ فوقها قطعة كارتون كتب عليها بخط رديء (الطابق الخامس) . بدأتُ أتقدم باتجاه المرآة فيما كان كهل أحدب بشعرٍ أشيب ولحية كالثلج . . كان هذا الكهل يتقدم باتجاهي .

مملكة بعيدة

كانت ظهيرة قائظة . الظلّ مطّ نفسه محتلاً الخربة كلها . مفاصلي تئن . الوقت عصراً . أهرش جلدي بأظافري متطلعاً إلى أمي ، في قلب شجرة السدر ، أراها تضع علب السكائر على لوح خشبيّ . تسرب العرق الى الخطوط الحمر التي تركتها الأظافر على ساقيّ ، بدأت تحترق ، أقتطع من فراشي الكارتوني قطعة لأبرّدها . إنتهتْ من تنظيم علب السكائر ، وبدأت تنتظر . أنتظر انطفاء الحرائق في ساقيّ وظهري لأنهض . أتركها وحدها ، تنظر إليّ ، أبتعد ، تتوسل لأبقى ، «لا أستطيع ، الخفافيش تعرف أني سأكون هنا» . «سأحميك ، أحتفظ بمرآة مذهّبة أحضرها أبوك معه» . تثقلني رغبة البقاء . في الليل تبدو المدينة عارية ، لا تستطيع إخفاءك حتى عن عين كلب سائب . «سأحميك» ، كانت تقول لي . أدفن وجهي في الصدر الضامر . أشهق . أملأ صدري برائحتها ثم أبتعد متخلصاً من الأصابع الناحلة المتشبثة بي .

***

يرسم ظلّ الشجرة الساقط على الجدار خطوطاً متعرجة حول نافذة مؤطرة

بخشب باهت الزرقة يحتوي الوجه الطفولي المتطلع الى الشارع الغارق بغبار فحمي" كانت فوّهات مجهولة تنثه منذ الصباح/ أبي يقول : كنت صغيراً ، وكانت الخطوط السود تخدش وجه السماء . تركت الكرة ـ كنت أحملها بين جنبي الأيمن وذراعي ـ تسقط . أغمضت عيني بمجرد أن لامس الغبار الأسود وجهي . السماء تغيب . أمي تسحبني من ذراعي . أجلس خلف النافذة متأملاً مسحوق الفحم والوجه المتربع في النافذة المقابلة/ . بدا الشارع مقفراً إلا من جسد لرجل ـ أو امرأة . . وربّما كلب ـ يتدحرج بسرعة الى الاتجاه البعيد حيث استحالت الأشجار ، العجلات المركونة إلى جانب الرصيف ، أكوام النفايات ، إلى كتل فحمية جاثمة تمتص احمرار الشمس التي أطلّت بعد توقف نثيث غبار الفحم .

بحركة الشمس ينسحب الظلّ بعيداً عن الزرقة الباهتة تاركاً الوجه المتطلع الى الأجساد القليلة الخائضة بمسحوق الفحم المتراكم يصطبغ بحمرة الشمس الغاربة/ رجل يرفع (دشداشته) حتى ركبتيه ، آخر يطوي بنطاله كاشفاً ساقين مشعرتين ، إمرأة بربلتي ساقين حمراوين/ . كلاب وقطط سود ـ لا أدري إن كان هذا لونها أم أن الغبار المتساقط اغتال ألوانها كما اغتال كل شيء في المدينة ، أفقدها ملامحها/ للمدينة ملامح كوجه أمي : وجنات غائرة ، هيكل متداع ، وكنت آلفها ، أغفو في حضن شوارعها ، تحتويني الأذرع . أفيق ، أجدها تغيرت ، أمي أعرفها/ حتى أني ـ وأنا أراقب الوجه الطفولي الذي اعتاد ـ واعتدت معه قضاء هذا الوقت من النهار متطلعاً إلى الشارع الضاج بحركة الأجساد ، الباعة المتجولين ، أبواق العجلات ، الهياكل المزروعة على (التخوت) الخارجية لمقهىً في الركن ، قرب التقاطع ، الشرطي/ يقترب . إلتصقتُ بكومة العظام المرتجفة تحت العباءة . حاولتْ احتضان لوح الخشب . كانت الركلة قوية فأطارته بعيداً . أحضرته أمامها ثم ذهبت أجمع العلب

المتناثرة ، جمعتها كلها إلا العلبة التي أخذها بيده ، وكنت أبكي ، أمتص من زاوية الفم القطرات المالحة المنسابة على وجنتي المتربتين، «لا تبك . أنت رجل» ، كان يقف جوار الباب بساقه الخشبية الممتدة حتى إبطه . في الليلة ذاتها سمعته يشهق ، ورأيتها ، كانت ضلفتا النافذة تكادان تتعانقان ، تجفف دموعه بطرف ثوبها/ السابح بعرق غزير يبدو كبقعة مبتلة تطوق إبطه وهو يحاول جاهداً تنظيم حركة العجلات المتدافعة بجنون من الطرق الأربعة ـ البقاء حتى تغرب الشمس لينسحب ـ أنسحب معلناً بدء رحلة طواف ليلي تنتهي الى خربة/ أشعر بالخجل من عري المدينة الفاضح . أتركها تضاجع الكلاب، الخفافيش المتحلقة حول نيران توقدها عند تقاطعات الطرق/ في طرف المدينة ، أسند جذعي إلى شجرة سدر ماداً رجلي فوق قطع كارتون ـ خلف الستارة تاركاً النافذة مضاءة ـ أميزها بصعوبة وهي تتحرك لتغيب في الزقاق المؤدي إلى الجامع .

***

أبتعد مسرعاً . أنقل خطواتي بحذر . ألتفت . أراها واقفة . ألوّحُ لها بيدي . يغيبني الظلام . يزداد حذري ، توجسي من حدوث شيء ما ، قد تهاجمني الكلاب . أتذكرها . بقيت وحدها ، تنتظرهم كالعادة . «كل ليلة أسمع طرقاً على الباب ، خطوات ثقيلة تهبط السلم ، أجلس في فراشي ، الخوف الذي تملكني في الليلة الأولى خفّ في الثانية ، في الليلة الثالثة كنت معهم وهم ينبشون الغرف ، وفي العاشرة بقيت جالسة أضحك ، أحدهم ركلني هنا ، على خاصرتي ، أنظر» . كشفت لي جسدها . قبّلتُ الموضع المزرق ، الوجه الناشف ، العيون وحدها بقيت تشع . طريقي أغيّرها يومياً كي تضل الكلاب رائحتي . كلاب مسعورة ، كانت تنهش الجسد المتكوم على الأرض . لماذا لم تأكله؟ ستأكله ، قال لي وهو يزفر بحرقة ، ولكن ليس هنا ،

سيقودونه إلى مملكة الخفافيش ، مملكة بعيدة ، لا أدري أين ، يوثق إلى لوح خشبي ، وفي الظلام تحطّ الخفافيش على الجسد العاري ، تتكاثر البقع السود ، تلتهم العيون ، الشفاه تتشقق ، حلمتي الصدر ، البطن ، ذلك الشيء يقطر دماً ، يغيب الصوت تدريجياً . وحده . . رفيف الأجنحة يبقى ، وحده . . الجسد المشوه يظل حتى الصباح منتظراً الجولة الأخرى : جولة الكلاب .

***

بإمكاني - وأنا أقف الآن لأراه في لحظاته الأخيرة - رؤية المئذنة تحمل كرة طابوقية بنوافذ مستطيلة تعلوها كوىً مثلثة ممتلئة بأعشاش الخفافيش كانت تغادرها - ليس في المئذنة وحدها تتجمع/ كانت الخربة تغص بها ، عندما استيقظت وجدتها : كتل سود تحتشد في الزوايا ، تطل من براميل القمامة ، تكتّف أمي ، كانت تنظر إليّ ، وجهها فقط . . أراه في قلب الشجرة الأسود . لا بدّ من كلب أرشدها لمخبأي . وركضتُ/ ، إلا أني رأيتها تتجمع هناك ، تندفع بوقت واحد لتأخذ أماكنها - وقتها أدركت أن خفافيش أخرى اندفعت من أماكن لا أعرفها ، أحدها هاجمه ، صرختُ - كانت النافذة مضاءة ، الستارة خلف الجسد المطل إلى الخارج حتى منطقة الصدر - إلتفت إليّ . أتلاشى . إنسحبتْ . وكنت وحدي - على أسيجة السطوح ، أسلاك الكهرباء ، قمة المئذنة - أبدأ رحلة الطواف . أنوار مصابيح الشوارع كعباءة أمي ، بلونها الحائل ، وبقعة التراب خلفها ، قليلة هي لحظات الصحو ، عباءتها تلفّ الكون كله ، أطل من فتحة الكم ، كانت تخبئني ، أسير ملتصقاً بجسدها السابح بعرق مالح . أنفي مشبع برائحتها . بحثتُ عنها متشمماً أجساد النساء . وقح . كلب . أبحث عن أمي . تضحك . أسندت ظهري إلى الجذع المتخشب . كنت ألهث . وكانت الرائحة تتغلغل في أنفي . رفعتُ رأسي : كانت هناك . . تحتضن لوح خشب ممتلئاً بأصناف السكائر المستوردة -

أرى الخطوط والكتل السود تتحرك وكأن ريحاً خفيّة تداعبها ، تنفصل نتف منها بطيران جنوني باتجاه النوافذ المضاءة ـ «إنها تستوطن المقابر ، تقتات على الجثث ، إذا التصقتْ بوجهك ستمتص دمك ، ولن تطير إلا إذا أحضروا لها مرآة مذهبة من الحج» . الشفاه القاحلة تخدش وجنتيّ الطريتين . أطبق جفنيّ. أبقى يقظاً. عيوني مزروعة بقلب شجرة السدر . أرى نافذة مؤطرة بخشب باهت الزرقة ـ تصطدم بالزجاج ، تتجمهر كأستار تحجب الضوء ، ينحسر . الغمامة السوداء تقترب من الأرض . كنت وحدي . أركض . تضرب أجنحتها المضمخة بالكافور وجهي ، تنبت مخالبها بقشرة رأسي العاري ، أسنانها تخترق كتفيّ ، اليتيّ . أتكور . أخفي رأسي بين فخذيّ . تهاجمني العفونة/ أقيء . كانت الغرفة شبه مظلمة . ستائر حمر تخفي نافذة يتيمة ، موصدة . ملاءة السرير غائمة . تغلفني العفونة . أقيء . أمّا هي . . فكانت منطفئة تماماً/ . أرى الوجه الطفولي . ينفتح الفم/ تلتقط أذني الكلمات الهاربة . تختفي العيون/ . الشفاه الوردية تستطيل مشكلة إطاراً مذهّباً لمرآة الفم . تتركني الخفافيش . تنتزع مخالبها من لحمي . أسير منتصباً . . حاملاً مرآتي المذهّبة على صدري . أراها تهبط بأعداد خرافية ، تغيب في مسحوق الفحم ، تحرك أجنحتها ، غبار فحمي كثيف يرتفع ، يغطي المدينة ، يحجب الرؤية . كل شيء يضيع إلاّ وجهاً طفولياً وسط نافذة مؤطرة بخشب باهت الزرقة .

١٥ آب ـ ١٩٩٢م

البصرة

شروق آخر

كان أبي غائباً في ركنه الأثير . . طافياً وسط سحب دخان رمادي تخلّفه سكائره بتبغها الرديء . . يغيب فيه بعد أن ترفعَ (صينية) العشاء . أنتظرها شوقاً لمعرفة نهاية حكايتها التي استمرت زمناً . لمّا عادتْ تربّعتُ أمامها . بدأتْ :

ـ في البصرة تشرق الشمس مرّتين ، الأولى بعد أن يصلي أبوك الفجر بساعة ، والثانية . . . . . ،

وكالعادة . . سكتت .

١٩٩٧/٢/٢٧م

الأردن

الرجل .. الظل

ظهيرة قائظة . أجسادنا تسيل ، تتكوم اللحوم عند الأقدام انتظاراً في لسان طويل يمتد متعرجاً مع انحناءات ظل الأعمدة البارزة الملاصقة لمبنى المحطة . تبحثُ الرؤوس عن ظل تلتجئ إليه . حَسَن . . حسن جداً أن بامكانك اللجوء الى مكان ما . مع حركة الطابور البطيئة كنت أدفع حقيبتي أمامي بقدمي . تقيّدني لزّوجة جسدي السابح بعرق غزير يختلط فيها التراب والملح والبارود ، لستُ وحدي ، كثيرون غيري وجُوههم معفرة ، تلتصق البذلات الملحية بأجسادهم ، تبدو أحذيتهم ، بأعناقها الطويلة ، وكأنها قوالب ملح . إنهم مثلي إذاً . . من هناك : أقصى الجنوب ، حيث الحرب المشتعلة دوماً ، تركتها تمضغ آلاف الأجساد التي تُدفع إلى فمها ، تصل نارها الى هنا ، تشوي الأجساد ، تدفعها للتجمع ، بالعشرات ، متلاصقة في بقعة ظل لا تتجاوز مترين مربعين ، يحتمي كل منها بالآخر . الخيط ، الذي يحمل ذراعي اليسرى أمام صدري ، يحزّ رقبتي . أسندها بيميني ، أضع راحتي تحت المرفق . يرتخي الحبل ، لقد جُبِّست بفوضى وسط أجساد كثيرة كانت تُحمل الى المستشفى ، إمتلأت الأسرّة . . فُرشت الممرات ، وكنتً ، قياساً الى كل هؤلاء ،

إصابة بسيطة ، بامكاني المغادرة بمجرد أن تستقرّ حالتي . بعدها بساعة كنت في الشارع . ساعة أخرى وصلتُ فيها مبنى المحطة ، وساعات عديدة أنتظر وصولي الى الباحة المربعة أمام باب المحطة الرئيس حيث تنتصب مجموعة من ذوي القبعات الحمر ، تتفحص الهويّات ، تقرأ تصاريح النزول ، تدقق الأختام ، وربّما تتبعثر حاجياتك قبل أن يسمح لك بالدخول إلى فضاء المحطة .

كان اللسان الطويل يتحرك ، كسلحفاة هرمة ، متحسساً حافة الظل الذي بدأ يتسع مع حركة الشمس بعيداً عن النهر . تركتُ يدي تسقط فعاد الحبل يقطع رقبتي من جديد . (تقدّم) ، قال لي شيخ يقف خلفي واضعاً كفّه بهدوء على كتفي . إنتبهت . أمام فسحة صغيرة سببها انزياح الطابور المتثاقل . ركلتُ الحقيبة بقدمي . تبعتها . وتبعني الرجل ، (الحمد لله على السلامة) . رددتُ عليه . . وخنقتُ عبارة أخرى في فمه ، إذ نحيّتُ وجهي الى الشارع المار أمام مبنى المحطة . في مظلة الانتظار مجموعة رجال وظل شاحب لامرأة تغيّبه عباءة سوداء كالحة إلى طرف مسطبة خرسانية يشاركها طرفها الآخر كهل جمع راحتيه أمامه ، فوق عصاه ، وأراح جبهته على ظاهر يده ، ربّما كان نائماً . بقية الأجساد تتوزع دون نظام تحت المظلة فيما كان فتىً يسدّ بجسده الفتحة الغربية في جدار المظلة متشرباً ، بعينيه ، خواء الشارع بحثاً عن شيء . . أي شيء . . ينقله الى وسط المدينة . .

***

حملتُ حقيبتي الى الداخل تاركاً ذوي الرؤوس الحمر ينثرون على الأرض محتويات كيس قماشي كان الشيخ ، الواقف خلفي ، يحمله . إتجهتُ الى قاعة انتظار المسافرين يسار المدخل ، كانت مكتظة بالبشر ، طابوران طويلان يبدآن من كومة الرؤوس عند شباكي التذاكر وحجز المقاعد لتتلاشى نهاياتهما

وسط القاعة بعدد من الواقفين بيأس يمسحون بأبصارهم كل شيء فيها . لن أحصل على مقعد إذاً . تريّثتُ قليلاً تحت المروحة بجانب مسطبة ثمانية مكسوة بمرمر أبيض تشوبه حمرة خفيفة تتوسط القاعة تؤطرها أجساد متراصة فيما تركتْ امرأة ما طفلاً نائماً وسط المسطبة . . تحت المروحة تماماً .

في الخارج . . كانت الشمس تزداد ابتعاداً عن النهر فتتشكل مساحات إضافية من ظلٍّ أغرى الكثيرين بترك القاعة الخانقة الى الساحة المسقوفة بجانب أبنية الخدمات ، بعضهم كان يذرع الرصيف المحاذي للقطار لقتل الوقت ، فما زال أمام القطار الصاعد الأول أكثر من ساعة ونصف قبل أن تدور عجلاته . الأجساد تتدفق إلى المحطة عبر البوابة الرئيسة : شيوخ ، طلبة ، جنود مغلفون بالملح والبارود ، عباءات سود مُحمرّة ، هياكل أجساد شاحبة ، أطفال ينتظرون عند الحقائب المكوّمة ، فيما تبدو المجاميع التي تتحّرك قرب عربات الدرجة الأولى أكثر إشراقاً وهي تنتظر ، إذ لم تُفتح أبواب القطار بعد . عدد من عمّال بصدريات خضر ألمحهم عبر نوافذ القطار النائم فوق قضيبي السكة الحديد كحيوان أسطوري . . ألمحهم يمرّون من عربة الى أخرى ثم غادروا جميعاً واحداً بعد آخر من أبواب متفرقة أقفلوها خلفهم .

بدت المقاعد الخشبية الخضر الموزعة بانتظام تحت المساحات المسقفة . . بَدَتْ ممتلئة . أحسست بعوارض الخشب تقضم فخذي وظهري . تحركت لأبعد الخدر عن جسدي متطلعاً الى الظل الزاحف باتجاه الرصيف . بدأت الأجساد تقترب من العربات الخضر . . تتكوم أمام الأبواب . زاحفة ، بأمتعتها ، الى السلالم البيضاء الممتدة الى الرصيف . ولمّا بقيتُ وحدي على المقعد الخشبي . . سمعت النداء واضحاً هذه المرة : (سيغادر قطار . . . . الأول . . . .) .

***

كنت في الممر . . فسحة ضيقة في نهاية العربة ، في زاويتها القريبة من الباب الخارجي تقع دورة المياه . كنت هنا . . متكئاً على جسد القطار . الحقيبة بين قدميّ . توشك رقبتي أن تسقط بعد أن قطعها الحبل ، ذراعي اليسرى أثقل من قبل . قد أجد مقعداً فارغاً بعد أن يتحرك القطار . سأمرّ في العربات جميعها . المهم أن يتحرك . سيصرخ أولاً ، وسيصم الصوت أذنيك ، ينفجر رأسك . سأجلس ولو في منتصف العربة . . بعيداً عن هنا . مع الصرخة الثالثة اهتزّ جسدي . العجلات تدور . ما أزال عند بوابة العربة قبل الأخيرة ، تفصلني عن عربة الطاقة عربة واحدة . بدأ السور الحديد الأخضر . . المقاعد الخشبية الخضر . . الرصيف الخرساني . . كلها تتحرك الى الخلف ، باتجاه النهر ، وكنت أتحرك الى الأمام . البوابة الرئيسة ما زالت أمامي . بدا الرصيف خالياً . أشخاص عديدون يركضون بمحاذاة القطار الزاحف بسرعة بدأت تتزايد ثم يقفز كل منهم الى الداخل عبر البوابة القريبة اليه .

عندما اجتازت عربتي البوابة الرئيسة . . رأيته . كان ذوو الرؤوس الحمر يتفحصون تصريح نزوله ، شرطي بملابس خضراء ورأس أسود يقلّب حقيبته . أعطاه أحدهم أوراقه . مرّت عربتي ورأس الشرطي داخل حقيبته . خطفها منه راكضاً الى باب عربة قريبة . . بابي . تبعه . حقيبته مفتوحة ، حزامها الجلدي بيده . يقترب من البوابة . شممت منه رائحة البارود ، وشيئاً آخر لم آلفه عند الجنود . يبدو متوهجاً . يوشك أن يصل . يوشك أن يصل إليه . قبل أن يمسك بالمقبض الحديد دسّ أوراقه بجيب البذلة الجانبي ، ثم . . . . بقيت حقيبته وحدها على الرصيف .

***

لم ينزل أحد . توزّع ذوو القبعات الحمر والسود عند الأبواب فيما بقي الشرطي يتفحص الجسد المتقطع . . اللحم الملتصق بأُطر العجلات . عند

الأبواب . . كانت العصي . . البنادق مشهرة في الوجوه . لم يتحرك أحد ، غير أن الرؤوس الحمر التي تسدّ مدخل الباب الرئيس كانت تتململ متفحصة الشارع . . جهة النهر حيث بدأ لسان النهر يسيل ملتهماً أسفلت الشارع ، إنعطف نحو بوابة المحطة ، إجتاز الأحذية المتراصة ، زحف على الرصيف ثم انحدر الى نهر السكة الحديد . كان الجسد موزعاً بين العجلات . إنتبه الشرطي الى الماء . . يعلو ، يصل كاحليه ، يعلو ، يتسلق ساقيه . قفزت الرؤوس الحمر الى داخل القطار . النوافذ الزجاجية مزروعة عيوناً . طفا الماء . احتلّ البوابة . الشرطي وحده على الرصيف مُسمَّراً عند الجسد الذي أسقطه قبل لحظات بركلة من قدمه . يتسلقه الماء . توشك المقاعد الخشبية الخضر على الاختفاء . يختفي الشرطي بعد أن التفّ حوله لسان الماء ثم طرحه . حمله معه ، الى النهر ، عبر البوابة الرئيسة . كان يتخبّط ، يلوِّح بيديه ، رأسه يغطّ ويطفو ، يغط . . . . ويطفو ، يغط .

***

خلا الرصيف تماماً إلا من مجار مائية صغيرة كانت تنحدر ببطء نحو النهر . بدا الرصيف مغسولاً بعناية . العَجلات تتلامع . تحرك القطار . كنت عند البوابة . . أنتظر البدء بجولتي بحثاً عن مقعد فارغ . كانت حقيبته وحدها على الرصيف . . مفتوحة كما تركها ، وكان الجَسد المقطع قد اختفى ، ربّما حمله النهر ، هو الآخر ، معه . غير أن ظلاً شاحباً لرجل بقي مرسوماً فوق الأرض يخترقه أحد قضيبي السكة الحديد عند منطقة الصدر .

مايس - ١٩٩٧م

الأردن

(............)

إلى: القاص قصي الخفاجي

الشارع الرئيس في المدينة مضاء على الدوام ؛ فيما تبدو بقية المناطق كبقع تتفاوت في شدة إضاءتها . هناك . . في طرف المدينة البعيد . . عالم مظلم تماماً .

في الصباح انحدرتُ إليه . أدهشني أنه ما زال مظلماً . بصعوبة كنت أفتح مغالق الحروف المرسومة على بابها الحديد الصدئ والتي انقشع كثير منها . . كنت أقرأ :

«مـ . . . . قا . . . . بر . . . . آلـ . . . . غـ . . . . . ر . . . . با . . . . ء»

١٩٩٦/١٢/٣١م

الأردن

فندق

الى : فرانز كافكا

واهناً . . يصلني الصوت ، إذ تمتص انعطافات الجدران المطليّة حديثاً بدهان أصفر مقزز جُلّ الصوت المنبعث من مكان ما . . هناك ، لا أراه ، غير أن الأنين المتسرب عبر فتحات أو كوىً خفيّة . . من تحت الأبواب ، وصل الوسادة المتسخة حيث أضع رأسي بعد رحلة دامت اثنتي عشرة ساعة بالضبط قضيتها متصالباً على كرسيّ تغيّبه ستائر دخان كثيف ، ساخن بفعل الحرارة المنبعثة من كل شيء يحيطه .

كل شيء ساكن . الممر ، مضاء بمصابيح متباعدة تتدلى من السقف كان بعضها مكسوراً ، دهليز يمتد حتى السلم ، من الجهة الأخرى تحده انعطافة تقود الى كون مظلم . . هذا فقط ما أراه ، من ذلك الاتجاه يأتي الصوت ، زاحفاً على البلاط ، متشبثاً بالجدران . على جانبي الممر كانت الغرف موصدة ، تبدو دواخلها ـ من تحت الأبواب ـ مظلمة عدا غرفة بعيدة . . هناك ، بجانب السلم . قد يكون الأنين متسللاً من هناك . بحذر كنت أتقدم . السكون يغلفني ، يجهض خطواتي . أقف . يختفي خط الضوء . أعود الى غرفتي .

رائحة الوسادة زنخة مع أني أخفيتها بمنشفتي . يصلني الصوت . . ولكن ليس واهناً هذه المرة !

«آمل أن تقضي معنا ليلة هادئة» ، قال لي رجل برميل يجلس الى منضدة قذرة ، أمامه سجلان كبيران كتلك التي كنت أراها عند أبي ، بجانب الميزان ، كان بقّالاً ، ضخماً أيضاً ، لكنه ليس برميلاً : «نزلاؤنا من طراز خاص ، هذا ما أريدك أن تعرفه ، قد تسمع لغطاً آخر الليل ، سباباً ، صراخاً ، لا عليك من كل هذا ، المهم أن تبقى مكانك حيث سيقودك هذا الرجل ، وإذا رغبت في الخروج أطرق الباب حتى يحضر شخص لاصطحابك» . كان البرميل هو الذي يتكلم ، يلهث كالبقرة ، أما الآخر فقد استمر صامتاً ينظر إليّ ، صامتاً يقودني عبر سلم متآكل يفضي الى ممرٍّ شبه مظلم تتراصف على جانبيه غرف كالعلب لها أبواب كأبواب الزنازن مظلمة كلها عدا الغرفة الأولى يسار السلم ، كان الضوء المتسلل عبر حافة الباب يرسم خطاً مضيئاً على أرضية الممر السوداء ، كدت أن أسمع صوته عندما دخلتُ قائلاً : أبحث عن فندق ، أوشك أن يفتح فمه ، غير أن البدين أسكته بإشارة من يده قبل أن يقول لي : «وصلت» .

ـ هويّتك .

في السجل الأسود الطويل الذي فتحه أمامه . . أرى بوضوح ورقة بيضاء مقسّمة بخطوط عمودية حمر الى حقول ليست كحقول أبي : الاسم . . المادة . . الشهر . . التأريخ ، لكل عائلة صفحة أو صفحتان ، أما هنا فأرى : الاسم . . البلدة . . رقم الهوية وتأريخ إصدارها . . تأريخ النزول . . تأريخ المغادرة . . وحقل أخير هو أكبر الحقول جميعاً كُتب في أعلاه (الملاحظات) ، كان ممتلئاً بعبارات رُسِمَت بخط رديء ، حاولت ـ إذ كان منشغلاً بتدوين ما يريده في سجله الأسَود الطويل ـ أن أقرأ بعضها ، الكلمات في رؤوس

السطور : تجاوز . . حمل . . شجار . . محاولة ، إنتبه إليّ : أجلس . . أجلس هناك . وأشار الى كرسيّ حديدي مقابل الرجل الآخر ، فجلست . كنت ، حتى مغادرتي قبر الاستقبال ، النزيل الأخير المدرج ، بلا تسلسل ، في السجل الأسود . ما لفت نظري هو حقل (تأريخ المغادرة) ، كان فارغاً ، سألته ، ونحن نخطو في الممر الرطب باتجاه العلبة (١٤) كما أخبره البدين ، فأجابني :

ـ لأن نزلاءنا لا يغادرون .

ـ ولماذا !؟

ـ هذه غرفتك .

لحظات فقط . . بعدها كنت وحدي ، وصوت الترباس ، الذي فتح قبل دخولي ، يغلق مرة أخرى محدثاً ضجة تبدو عالية وسط السكون المميت .

الأشياء حولي تمتص ضجيج الخطوات المبتعدة . الحقيبة تتدلى من كتفي ، أحس ثقلها . الغرفة فارغة : دكة اسمنتية في الركن . . وعاء للقمامة . . ذيول مسامير تطلّ من جدران طليت ، هي الأخرى ، حديثاً دون أدنى محاولة لإخفاء الشقوق والحفر الكثيرة ، بذات الدهان الأصفر ، في الوسط . . مصباح وحيد ملتصق بالسقف . تحسست جيوبي . إن ما معي من نقود لا يسعفني في البقاء أكثر من يومين بوجبات فقيرة وفنادق رديئة . قواي تخور . على الدكة الاسمنتية جلست مسنداً رأسي الى الجدار ، كانت باردة . حزام الحقيبة عالقاً بكتفي . حررته . سأضيع إن لم أجد الرجل . رأسي تدور . مثانتي تتسع . . تتسع ، تحتل أسفل بطني . لم يعطني الرجل فرصة لأفرغ مثانتي وأمعائي . كما أنه لم يرشدني الى دورة المياه .

ـ أأتغوط في الداخل؟!

قلت له بعد أن طرقت الباب مراراً قبل أن يحضر مطلاً عليّ من الفتحة المستطيلة الضيقة في الباب الحديد ، أزاح الغطاء المتدلي عليها من الخارج :

ـ عندك هذا الوعاء .

ـ ولكني لست معتاداً على . . . . .

ـ عليك أن تعتاد على ذلك . . أتفهم ؟ ثم إنه لا يمكنني الحضور كل دقيقة لأقود شخصاً منكم ليفرغ قاذوراته . أريد أن أنام .

تركني ومضى . كان رجلاً آخر ، لم أره حين حضرت . صوت خطواته يبتعد شاتماً . خطوات أخرى تقترب . ألصقت أذني بالكوة المستطيلة . يقفان . «العلبة ١٤» ، قال له ومضى . تقترب الخطوات . تقف إزائي . إبتعدتُ مسرعاً الى وسط العلبة :

ـ ماذا تريد ؟

أعرف الرجل ، هو الذي قادني الى هنا . تنفست :

ـ دورة المياه .

سحب الترباس ثم دفع الباب . أصبح أمامي بـ (دشداشته) البيضاء :

ـ تعال معي .

كنا نجتاز العلب المتراصة على جانبي الممر :

ـ الرجل الذي حضر قبلك رفض أن يخرجني .

ـ لأنه لا يعرفك . ظنّك شخصاً آخر .

ـ وهل تعرفون جميع نزلائكم ؟!

ـ واحداً واحداً ، إنهم يقيمون معنا منذ سنين .

ـ ولا تخرجونهم الى دورة المياه ؟

ـ عندما نريد ، فبعضهم يتصنع الأعذار للخروج . هذه دورة المياه . إقضِ حاجتك وسأنتظرك .

ـ إنها مظلمة ؟

ـ تعطل المصباح منذ سنين .

ـ ولم تشتروا واحداً آخر ! ؟

ـ ولماذا ؟ إنه مكان مقرف ، ممتلئ بالقاذورات . ثم إنه لا أحد من نزلائنا يريد رؤية نفسه وهو يتغوط ، هذه رغبتهم .

ـ عجيب !

ـ لا تتعجب . نزلاؤنا من طراز خاص . كيف حضرتَ الى هنا ؟

صوته يحتل أذني كما تحتل القذارة المنتشرة حولي أنفي وعيني . تجنبت إجابته خوفاً من فتح فمي . سكت هو أيضاً . أسمعه يدندن بلحن قديم . ناديته مضطراً بعد أن كممت أنفي وفمي بمنديلي :

ـ الماء . . أين أجد الماء ؟

ـ جد لك خرقة في مكان ما .

منديلي هو الخرقة الوحيدة التي سأجدها لو بحثت . إستعملته ثم رميته . سمعت صوت إرتطامه بجدار لا أراه .

ـ الماء هو الآخر تعطل ؟!

ـ منذ سنين .

ـ ولم تصلحوه ؟

ـ كيف وصلت إلينا ؟

ـ نقودي قليلة ، بقيت ساعات طويلة أبحث ، دخلت ثلاثة كانت أجورها

عالية ، أدركت أخيراً أن العناوين البرّاقة في الشوارع المضيئة لا تنفعني ، خصوصاً وأن معدتي خاوية ، فما وضعته لي أمي في كيس ورقيّ إلتهمته بعد ساعة واحدة من خروجي . قلتُ : لأبحث في الأزقة المنسية . . في الزوايا المظلمة عن فندق رخيص .

ـ ولماذا حضرت ؟

ـ رسالة من رجل وصلت إليّ ، إنه يقول لي : إحضر فقط وسينتهي كل شيء .

ـ وهل تعرف الرجل ؟

ـ لا أعرفه . ربّما لو رأيته لعرفته . ولكنه يعرفني ، هو قال ذلك ، قال لي : إحضر الى الشارع الرئيس في المدينة وسأراك هناك .

ـ أعطني الرسالة .

تفحصها : الطوابع . . أختام البريد ، الورقة . . بسطها أمام عينيه طويلاً ثم أعادها إليّ :

ـ لا تخبر أحداً بشأن رسالتك هذه . أدخل الآن .

ـ هل الشارع الرئيس بعيد من هنا ؟

ـ سأدلك عليه في الصباح . إسمع : سأبقي بابك مفتوحاً ، ولكن تجنب الخروج مهما يكن السبب إلا لتقضي حاجتك وتعود . أفهمت ؟

ـ ألا أستطيع الحصول على فراش ؟

ـ لم يبقَ لدينا فراش واحد ، نزلاء كثيرون حضروا قبلك ، تدبّر أمرك هذه الليلة ، ربّما أستطيع أن أتدبر لك شيئاً في الليلة القادمة . هل ستعود إلينا إن لم تجد الرجل ؟

ـ لا أدري . . ولكني سأجده حتماً .

ـ سأبقي بابك مفتوحاً وتذكر ما أوصيتك به .

في الوقت الذي أرحت جثتي على الدكة الاسمنتية كان كل شيء هادئاً . تيار الهواء المتسلل عبر الباب الموارب جعل أجفاني تثقل . . تثقل . نائماً كنت عندما انتصب أمامي مرة أخرى :

ـ وسادة . . هذا فقط ما وجدته .

رماها بوجهي وخرج . زنخة كانت . أخفيتها بمنشفتي قبل أن أضع رأسي مرة أخرى . . لأغيب ، تتباعد الجدران ، صفيحة القمامة تختفي ، تستحيل الدكة الى فراش وثير . أمامي يجلس الرجل . «قلت لك إحضر وسينتهي كل شيء ، وها أنت ترى ، شيئاً آخر؟» أمي . «سأحضرها لك» . ودكان البقالة ، كان لأبي ، ثم باعه بعد أن كسد كل شيء في المدينة ، نهارات طويلة . . كان يجلس ـ وأنا بجانبه ـ دون أن يبيع شيئاً ، تعفّنت بضاعته ، وبعد أن استوفى جميع ديونه باعه ورحل إثر رسالة وصلته من رجل ، ولم أره مرة أخرى . «الدكان لا ينفعك» . أريده فقط ، إنه لأبي . «سيكون لك ، وماذا أيضاً؟» أبي . . أريد أن أراه . «لن تراه» . لماذا؟ «لا أدري ، فقط أعرف أن الذين مضوا لا يعودون» .

ـ ما بك ؟ أنت تصرخ ؟!

ـ لست أنا . الأصوات تنبعث من هناك .

ـ يخيّل إليك . كن هادئاً .

مضى . جسدي مبتل . يقظاً بقيت . أرجل مسرعة وخلفها شيء يسحب تجتاز بابي الموارب ، لم أرها ، ولكني أدركت أنها تمضي هناك . . باتجاه الزاوية البعيدة . الأنين يتزايد . صراخ . شتائم .

ـ ها أنت بنفسك تسمع . لست أنا .

ـ سأضطر لحجزك حتى الصباح .

أقفل الباب . على الدكة الاسمنتية بقيت مضطجعاً حتى الصباح .

ما أسمعه يزيد يقيني من أنني في فندق من طراز خاص . وهذا ما أكده الرجل البرميل بعد أن ناولني هويتي . لم يكن الفندق رخيصاً كما ظننت . وكنت الوحيد الذي أدرج تأريخ مغادرته في الحقل الطويل الفارغ . وعندما أشار الشخص الذي أحضر لي الوسادة الى اتجاه الشارع الرئيس في المدينة ، خرجت مسرعاً لأرى الرجل .

مايس ـ حزيران ١٩٩٤م

البصرة

عندما حدثني أبي

حدثني أبي مرّة فقال :

ـ سأحدثك .

وصمتَ . وانتظرته حتى غفوتُ .

وإذ أفقتُ وجدته يبكي :

ـ سأحدثك

قال لي . وبدأ .

وبدأت أبكي ، وأبكي ، وهو إلى جانبي

يغفو بهدوء .

الرجل العاشر

(قاعة . . قاعة كبيرة ، تمتد إلى اللانهاية ، تبتلع المكاتب التسعة المنطفئة . وحده ، مكتبي ، ما زال مضيئاً . أحس كأنني ذرة في كون عملاق . . تطفو . أطفو وسط هذا الكون ككتلة هلامية ، أحوم حول المناضد ، الأجهزة النائمة تحت أغطيتها البيض المطاطية ، كراس دوّارة بمساند مرتفعة كفّت عن الدوران تغطيها طبقة غبار يتراكم يوماً إثر آخرً . لمَ لَمْ أرها ، إلاّ الآن ، بهذه السعة؟! ألمْ تمض سنة كاملة على دخولي إليها؟ تكاد تبتلعني . أدرك غربتي ، حجم المأساة الّتي تنتظرني . . يهاجمني خدر قاتل ، يحتلني . أحاول النهوض . أحسّ ثقل جسدي . . قدمي ، أتحرّك . . بصعوبة أتحرّك . أذرع الغرفة . أتنقّل بين المكاتب . الأدراج مقفلة . كل شيء ساكن . . كالموت . وحدي ، أشباحهم تطاردني . أهرب . تتبعني . أهرب . . أهرب . . أهـ . . . . . . يطرق الباب . أعرف أنه هو : الرجل الذي . . . . . . ويحمل لي ، على الدوام ، شاياً بارداً . . بارداً كالثلج ، فأتصنع الهدوء) .

* * *

جدّك حملني، وأنا حملتك، وأنت ستحمل أطفالك يوماً ما. هل ستحملهم حقاً!؟ أشك في ذلك. الدنيا تغيّرت، وأنتم جيل لا يعلم به إلاّ الله. غيّرتم العادات. بدلتم التقاليد. لا يعجبكم العجب ولا الصيام برجب. ولكنّي سآخذهم إلى هناك لو قُدّر لي البقاء. سأحملهم كما حملتك: ملفوفاً بقطع قماش بيض، ورأس معصبة بخرقة خضراء. كان الوقت ليلاً. كنّا ننتظر الظلام، حيث تخفّ حركة الأقدام، ولا يبقى في المركز إلاّ الضابط الخافر وعدد من الحرس، أغلبهم كهول، يمضغون التبغ متهالكين على مصاطب خشبية، وجوههم متغضّنة. بمجرّد أن يرونا نقترب يعرفون ما نريد. نقف بعيداً يتقدّم أحدهم. يتناول الطفل: هاتيه.. إنه ابننا. قد يقبله، يتفحّص وجهه، ثم يذهب به إلى مشجب البنادق. يتناول واحدة. يمسكها أحدهم بشكل أفقي جاعلاً حزام الحمّالة يتدلى، شخص ثالث يقف على الجهة الأخرى، يتناول الطفل عبر فسحة قوس الحمّالة المتدلية والسلاح المتطلع إلى عدوّ خفي. مرّروك من تحت السلاح ثلاثاً. كان الضابط يقف بعيداً. ناداهم. حملوك إليه. تناولك. بدأ يفتح اللفائف عنك. (ستقتلون أطفالكم بهذه الحبال. همج). وإذ فتحك تدفّق بولك في وجهه. أخذ يشتم. بعضهم ضحك. ركض أكبرهم: شرطي كهل له شارب أبيض كثّ.. ركض إليه. تناولك منه. (خذيه.. خذيه.. واذهبي). أخفيتك تحت عباءتي وابتعدت مسرعة.

***

لسان أسود طويل يمتد متعرجاً باتجاه بحر السراب المتلامع. صوت المحرّك يتسلل عبر النافذة المفتوحة إلى يساره. أحسه، دون أن أتمكّن من رؤيته كاملاً،

إلى يساري، يمينه فوق عجلة المقود فيما تستقر يساره مطوية على حافة النافذة. في الخارج.. ثمة أكواخ، قرى صغيرة لم نرها من قبل، نساء، ملفعات بملابس سود، يمتطين الحمير، يقدن مواشيهن باتجاه النهر. إلتفتُ إليه: «هذه القرى أنشئت حديثاً»، قلت له لأسمع صوته، ولأراه كاملاً بوضوح. «إنها الحرب. أترى هذه الأرض؟» أشار بيساره إلى الجانب البعيد. «أتراها»؟ يحدثني دون أن ينظر إليّ. «كانت مزروعة بالجنود، القذائف التي تساقطت...». أتفحصه. عيونه تأكل الاسفلت. «..... جعلت أهلها يغادرون. استوطنوا أراضي نائية وفّرتْ لهم كل شيء إلاّ شيئاً واحداً، ...». تجتاحني رغبة احتضانه فأطبق جفني. «..... شيئاً ليس بإمكان أرض أخرى توفيره لك، لذلك رجعوا. ما هو؟ لا أدري! إنني أجرّب هذا الإحساس الآن، شيء في داخلي يلحّ عليّ لأعود، .....». أعيش الإحساس ذاته، ولكن .... «لو كنت أملك خياري في هذه اللحظة بالذات؛ كنت سأعود». التفت إليّ لأول مرة وهو يحدّثني: «صدقني سأعود». عادت عيناه لالتهام اسفلت الشارع فيما بدأ أزيز العجلات يطغى على كل ما حوله.

***

(«أنظر». أخرج من أحد الأدراج رزمة أوراق بسطها أمامي: «كل هذه طلبات قدمتها طوال ستة أشهر. لماذا تنظر إليّ هكذا!؟» أبحث عن بقايا نقاء لم تستطع الأشهر الثلاثة التي قضاها في مصحة عقلية أن تغيّبها. «لست مجنوناً». ما زال نقياً، متوهجاً، يضيء.. يضيء.. يضيء.. وفجأة يخبو، ثم ينطفئ. تراجع ليجلس على كرسي في الزاوية. أخفى وجهه بيديه. «أنت تصدقهم إذاً؟!» ينظر إليّ. «استطاعوا أن يخدعوكم». زفر. «تأكّد....» قلت له وأنا أقترب منه آخذاً وجهه براحتيّ»: «تأكّد أنني أصدقك، ولكن لا تكتب طلباً لنقلك مرة أخرى، سيرفضون، يختفي الطلب، يتمزّق، أو تجده

بين أوراقك، في درج مكتبك. عليك أن تبقى هادئاً، تنتظر. ماذا؟ لا أدري. تنتظر وكفى». «وهي»؟ أمه.. كومة عظام فوق فراش. «ماذا سيحصل لها؟ المرأة التي استأجرتها لخدمتها.. هربت. في المرة الماضية وجدتها متعفّنة، لا أدري كيف هي الآن». يصمت. ما زال وجهه بين راحتيّ، أتشرب قسماته. أبحث عن شيء أقوله. وإذ أدرك عجزي.. أتركه. في الليلة ذاتها سمعنا طرقاً على باب غرفته. كان يصرخ في الداخل. وبعد أن اقتحمنا الغرفة كان كل شيء قد أُنجز: فوضى في كل شيء، وهو مكوّم في الوسط.. يشتعل. امتلأت الغرفة برائحة شواء لحم بشري. كانت وليمة قذرة، وكان هو الرجل الأول).

***

تعال.. تعال بجانبي. أنت نهاية العنقود، حبته الأخيرة.. الأكثر امتلاءً، هكذا أراك. ضع رأسك بحجري. ما زلت، رغم أعوامك الأربعة والعشرين، طفلاً بعيني، تحبو أمامي. خطواتك الأولى أتذكرها، (دشداشتك المقلّمة)، أشياءك.. بسطتها اليوم أمامي، تأملتها، ملافعك البيض، العصابة الخضراء، وأشياء أخرى كثيرة أحتفظ بها إلى الآن. بعد أن عدت لم أستطع أن أفعل شيئاً. ناولت الطفل لأمه ودخلت. كان يصرخ. جسده مزرق، ذابل. قلت: ربما ينفعه أن نمرره من تحت السلاح. حملته، وهي معي. تتبعني. أخذته إلى المركز القريب من السوق. الوقت ظهراً. عند المدخل وجدت مجموعة منهم.. صبياناً، وجوههم حليقة، شعورهم مصففة بعناية. تلعثمت. أحدهم طردني. إقترب مني آخر: «ماذا تريدين؟» أخبرته. بدا مستغرباً، ثم تناول الطفل. دعا اثنين من رفاقه. علمتهم كيف يقفون، كيف يمسكون السلاح. أسلحتهم صغيرة.. ليست كالتي

أعرفها. أردت أن أرجع. كان الطفل معهم. بدأوا وهم يتصارخون. كانوا يتقاذفونه. حاولت أخذه بعد أن مرروه ثلاثاً. أحدهم دفعني. إنتظرتهم حتى كفّوا. أعطيتهم ما بجيبي فناولوني الطفل. كان ما يزال يصرخ. أدركت أنه لن يشفى.. ولن يكون محظوظاً.

* * *

أنا وحيد الآن، أستشعر وجوده من كل موجودات الغرفة.. غرفته. أراه أمام المرآة، عند رفوف الكتب، مرتدياً بدلته الخضراء، حذاؤه الأحمر في الركن تغتال لمعانه طبقة غبار شفيف. على السرير.. قطع ملابسه الداخلية موضوعة كما تركها، عند الوسادة.. ثمة زوج جوارب يحمل علامة تجارية.

أشعر به خلفي بمجرد أن أرسل بصري باتجاه ما. يغمرني وجوده. أحس حركته. ألتفت. لا شيء. ألتفت. لا شيء. أدور. أدور. أدور. لا شيء. لا شيء. لا شيء. أنا وحدي إذاً، وهو يطلّ عليّ عبر كلّ ما يحيطني، ربّما لأني آخر من رآه، كنت معه، وكان الطريق طويلاً.. طويلاً.. طويلاً...... ثمة ما أبحث عنه. يجتاحني فضول عارم. في الخزانة لم أجد شيئاً، تحت السرير خال، رفوف الكتب الثلاثة مرصوصة بعناية، تحت الوسادة دفتر يحفظ بين شدقيه قلماً من نوع رخيص، قد يكون ما أبحث عنه. لأبدأ:

(أنا الرجل العاشر)

(ولدت عام، و........ عام........)

ـ ليكتب من يجد الدفتر التأريخ الآخر ـ

هذا فقط ما وجدته على الصفحة الأولى، الكلمات مكتوبة بخط كبير وسط الصفحة تماماً. قلبتها:

(أشعر برغبة للوقوف عارياً تحت الشمس. الرجل الذي يدخل إلي على الدوام هو الوحيد الذي أراه يومياً.. هذا الرجل يستفزني، أعترف بأنه ينقذني، أحياناً، من أشباحهم قبل أن تنقضّ عليّ، ولكنه، بعدها، ينفرد بي، أسكب شايه بفمي دفعة واحدة ثم أشيعه ببصري، جسدي يقشعرّ من مذاق شايه البارد.. البارد دوماً! رجل غليظ.. هل وجد هنا ليحمل شاياً فقط!؟....)

أتوقف. أرى رجلاً غليظاً يجتاز صفحات ذاكرتي ليغيب في دهاليزها الكثيرة. أستمر:

(....، ومع ذلك أشعر بالخوف عندما يغيب عني طويلاً. أمس مثلاً.. لم أره الصباح كلّه، بدت القاعة أشبه بقبر.. قبر واسع، وكانت الأجساد التسعة ممددة أمامي.. صفراء.. باردة، عيونها معلّقة بالسقف، ناديته، وعندما حضر كانت الجثث قد اختفت في مكان ما، وكنت ألهث، فتمنيت أن يخرج بسرعة).

أقلب. صفحة بيضاء. أخرى. وأخـ.... «إذا بقيت تسير هكذا فسنصل مساءً». «أشعر بأنني لن أصل». وأخرى. حسن.. هذه واحدة:

(..... كالماء تتسرّب من بين أصابعي. لقد انتهت الحرب. الأسلاك، التي تربط الأجهزة مع جهاز الذاكرة الرئيس، رُفعت. اختفت الوجوه المتجهمة. تلاشت الأصوات الآمرة. أصبحنا نتجمع كل اثنين أو ثلاثة قرب جهاز. كثرتْ الأجهزة المغطاة. الألعاب جميعها حفظت. نحن عشرة رجال في جوف قاعة. نقشنا أحلامنا على جدرانها. أسماءنا. «الضجر يقتلني». يقرأ، للمرة الألف، اللافتة التي خطها الرجل الأول. «أشم رائحته وهو حي، ورائحته مشتعلاً. أتذكّر تأريخ اشتعاله». بدأ يحفره بسكين صغيرة مالئاً الفراغ المتبقي في لوحة الرجل الأول ثم تحرّك باتجاه مكتبه. «ليت الحرب لم تنته،

أشعر أن وجودي مرهون باستمرارها، سأنتهي معها». رسم اسمه على الجدار خلف كرسيّه الدوّار وتحته كتب: «رجل دخل القاعة هذه قبل سنة. ولد عام. . . . . . . ، وَ. . . . . . . عام. . . . . . ». التفت إلينا، وقتها كنا ثمانية، وكان الرجل الأول ما يزال يحترق، قال: «ليسجل أحدكم التأريخ الآخر». وخرج. بعد أيام خطّ الرجل الثالث تأريخ اختفائه بيد ترتجف).

* * *

«أتعرف بماذا أفكّر؟» إنها المرة الأولى، منذ أن ابتلعته البدلات الخضر، المرة الأولى التي يتعرّى فيها. كانت السيارة تنساب بهدوء باتجاه الشمال. «إنني أعيش حياتي كلّها مرة أخرى. أتذكر تفاصيلها. كنت أظنّ أن قضاء سنة بأكملها بين هذه الأجهزة سيشلّ ذاكرتي. . يمحوها، وها هي نشطة. أرى نفسي طفلاً يرتدي (دشداشة مقلّمة) يخترق البيت راكضاً «وبيده قطعة خبز». إلتفت إليّ. «إنها أقدم ما أتذكره، لا أدري كم كان عمري وقتها. أحبّ هذا الطفل، أراه يكبر، أتتبعه. . بصعوبة أتتبعه، أحداث السنة الأخيرة تلتهم كل شيء، تحرف ذاكرتي إليها، تقودني لأبدأ حيث بدأتْ. . من الغرفة الواسعة أمام رجل فيل جالس على كرسيّ دوّار خلف منضدة أنيقة. كنّا، نحن العشرة، نقف أمامه. نهض. دار حولنا. تفحّصنا ثم وقف خلفنا. أتذكر كلماته: «أنتم العشرة الأوائل، وهو سبب اختياركم لهذه المهمة. تدركون جيداً طبيعة مؤسستنا هذه، وتعرفون، بالتأكيد، مدى التكتّم الذي تتعامل به. هذا كل ما أريد قوله لكم، أما عن طبيعة عملكم فسيحدثكم بها غيري». تركنا وخرج، ولم نره مرة أخرى، تصوّر. . لم نره مرة أخرى». ثم عاد إلى صمته.

* * *

صفحات سود يبدو أنه كتبها ثم عاد، لسبب ما، وشطبها بقسوة أخفت كل شيء. على الصفحة الخامسة كتب:

(أذكر كل شيء عنهم. أعرف التفاصيل. أحسّ، وأنا أدوّنها، أنني أقترب من نهايتي، ثمّة من سينهيني بمجرّد أن أنتهي من الكتابة، قد يكون مختبئاً في مكان ما! سأشطب الصفحات).

***

صفحة:

(الرجل الغليظ لم أره أمس. اليوم همس بأذني واضعاً قدح الشاي أمامي: قد لا تراني مرة أخرى، كُلّفت بخدمة عشرة أشخاص جدد، هناك.. في الغرفة البعيدة عند نهاية الممر. وخرج بسرعة).

***

صفحة:

(أمرّ يومياً على الشواهد. أقرؤها. يثيرني الفراغ المتبقي في شاهدة الرجل الخامس، أردت، اليوم، أن أملأه ثم أحجمتُ متذكراً الرجل السادس يبتعد مسرعاً بعد أن ألقى قلمه وهشّمه بقدمه. قال صارخاً: «ستبقون هكذا، يتبع بعضكم بعضاً، يؤرخ أحدكم للآخر، أحدكم سيظل وحيداً، سيبقى التأريخ الأخير في لائحته فارغاً، أما أنا فسأحفر تأريخي الآن.. أمامكم وأهرب، أعرف أن واحداً سيسرع، بمجرّد أن أغيب، ليملأه. أتركوه. أقول لكم أتركوه.. أتركوه.. أتركوه فارغاً». ولكن أحدنا ملأه بعد أن تأكدنا من اختراق الرصاص جسده في منطقة نائية قريباً من الحدود).

***

صفحة:

(سألتها لأسمع من جديد ما سمعته مراراً:

ـ وحملتني؟

قالت :

لن أحدثك . طفل المرأة الذي حملته بقي مزرقاً مثل (فوطتي) هذه . مات أمس . سأذهب لأنام .

وتركتني) .

* * *

صفحة :

(لليوم الثالث ينتصب قدح الشاي فارغاً على منضدتي . أشعر بالخواء) .

* * *

الصفحة الأخيرة :

(المهمة التي سأخرج بها غداً ستحرّرني ، ولو ليوم واحد ، من أسر الجدران . . خطوات الرجل الغليظ حاملاً شايه البارد إلى الغرفة البعيدة . . سطوة الرجال التسعة . . أسمائهم المحفورة على الجدران . ملأت الفراغ المتبقي في شاهدة الرجل التاسع ثم تنفّستُ بعمق . فوق منضدتي قدح شاي فارغ . أشعر بالخوف من ذهابي وحيداً) .

* * *

كنت معه . وكان الطريق طويلاً . استقبلتنا المدينة بأكواخها . «الآن اطمأننتُ أكثر» ، قال مبتسماً . كانت السيارة تتدحرج بهدوء في شارع المدينة الرئيس . «هنا؟» سألته . « لا . سنعبر الجسر إلى الجانب الآخر» . ولم يعبره . عبرته وحدي محمولاً داخل سيارة إسعاف هبطتْ من السماء بعد أن ضربتنا سيارة شحن متوسطة من الجانب . . على جهتي . وجدت نفسي محشوراً

وسط وجوه فظّة. «وأخي؟» «إطمئن بقي بجانب السيارة». ضمّدت يدي وعدت وحيداً. كان ما يزال خلف المقود. . ساكناً. ثمّة دم متخثّر منساب من صفحة رأسه مالئاً أذنه. . منحدراً فوق الرقبة ليغيب داخل بدلته الخضراء المكويّة بعناية.

حزيران - آب ١٩٩٥ م

البصرة

إبداعات **صدر ضمن السلسلة**

قصص

مكان أمام البحر : جمال أبو حمدان
نصوص البتراء : جمال أبو حمدان (نقد)
مشي : سعود قبيلات
الماء . . وركض : عباس أرناؤوط
رؤيا خريف : محمد خضير
أين يذهب البحر : فواز الحموري
مصاطب الآلهة : محمود جنداري
الرجل النازل : علي السوداني
بوككو وموككو : علي السوداني
الملائكة في العراء الياس فركوح
في ظلال المشكينو : أحمد خلف
أسلاك تصطخب : أحمد زين
هندي أحمر وقصص أخرى : تيسير سبول (ضمن الأعمال الكاملة)
رتابة مميتة : مختارات من القصة الكوبية
ترجمة : إيڤلين الأطرش
أوراق بعيدة عن دجلة : محسن الرملي
المدفن المائي : علي السوداني
صورة البطال : وجدي الأهدل
كتاب الرمل : خورخي لويس بورخيس
ترجمة : سعيد الغانمي
من يحرث البحر : الياس فركوح
ما لم يقله الرواة : لطفية الدليمي
آدم ذات ظهيرة : مجموعة كتاب
ترجمة : الياس فركوح ومؤنس الرزاز
نيران أخرى : كاتبات من أميركا اللاتينية
ترجمة : الياس فركوح وحنان شرايخة
جسد ومسافات كثيرة : عماد مدانات
فقط حدث عفواً : عادل عبد الرحمن
غبار الخجل : رمزي الغزوي
الظل الغائب : منيرة صالح
حواءات آدم : حيدر عودة

نهار النرجس	:	جاسم المطير
العبيد	:	لؤي حمزة عبّاس
يد في الفراغ	:	أحمد النعيمي
وجوه تمحوها العزلة	:	زياد عبد الكريم السالم
الريح وظل الأشياء	:	أحمد القاضي
أحلام مستحيلة	:	أحمد محمد أمين
زنوج وبدو وفلاحون	:	غالب هلسا
وديع والقديسة ميلادة وآخرون	:	غالب هلسا
أغشية الرمل	:	محمد بن سيف الرحبي
بيتي في علبته الصفراء	:	حنان شرايخة

محمد عبد حسن

الطوفان

المدّ يصعد. كنت هناك : أمسك قصبتي على الشاطئ منتظراً صعوده . الأسماك تأتي مع المد/ واهماً كنت/ ، علب صفيح اسطوانية فارغة، أخشاب، قصب ، أحذية ممزقة ، أشنات طافية ، زيوت ترمي بها المراكب ،/ جثث لفظتها الحروب . نقترب من الجثة . عينان زرقاوان . أجذف .. أجذف، صرخ فيّ . كانت متخشبة ، داكنة . خيط طحلبي أخضر ينبت في الفم . بقايا عينين . بقايا أنف . شفاه مزرقة/ورائحة المد التي لا يمكن أن يخطئها أنفي .

أزمنة للنشر والتوزيع

تلفاكس : ٥٥٢٢٥٤٤ ● ص. ب: ٩٥٠٢٥٢ ، عمّان ١١١٩٥ الأردن

Amman 2002

ISBN 9957-09-065-8 (ردمك)